أريك

نشرة غير دورية تصدرها
جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة

رئيس التحرير :
د . محمد رفعت الإمام
مستشار التحرير للمواد الأرمنية :
بيرج ترزيان
سكرتير التحرير :
على ثابت صبرى

العنوان : ٢٦ ش مراد بك ـ صلاح الدين
مصر الجديدة ـ القاهرة
تليفون : ٢٦٩٠٩٥٢٦(٠٢)
البريد الإلكترونى :
arekcairo@yahoo.com
رقم الإيداع : ١٨٣٧٤ / ٢٠١٠

إعداد وطباعة : ديزاين آرت
ت : ٠١٢٧٩٤٢٧١٨١ ـ ٢٤٣٣٠٨١٩
da_emad@yahoo.com

المحتويات

الموضوع	الصفحة

السادة القراء الراغبون فى الحصول على هذا الإصدار مجاناً ، الرجاء موافاتنا بالبيانات الآتية :

الاســــم : ....
المـهـنـة : ....
الـعـنـوان : ....
البريد الإلكترونى : ....
الـتـلـيـفـون : ....

افتتاحية العدد

التصعيد التركى تجاه إسرائيل ومستقبله

بقلم : د . السيد أمين شلبى

لاشك أن العلاقات بين تركيا وإسرائيل قبل تدهورها كانت علاقات حميمة وصلت لدرجة التحالف فى مختلف المجالات سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو عسكرية ، وقد وصل الأمر إلى التعاون على المستوى المخابراتى . فقد كانت تركيا أول دولة إسلامية تعترف بإسرائيل عام ١٩٤٩ ، وبعدها أقامت تركيا علاقات إستراتيجية مع إسرائيل ، وأعلن رئيس الوزراء الإسرائيلى وقتها ديڤيد بن جوريون قيام حلف «الدائرة» ليُحيط بالعالم العربى ، وكان هذا الحلف مكوناً من تركيا وإيران (أيام الشاه) وأثيوبيا ، وبذلك ضمنت إسرائيل إقامة علاقات مع دول لها حساسية خاصة فى التعامل مع العرب ، وقد توثقت العلاقات وأصبحت أكثر قوة بعد فقد إسرائيل حليفاً إقليمياً هو إيران عقب قيام الثورة الإسلامية الأمر الذى جعلها تقرأ علاقاتها مع تركيا بشكل مختلف .

إلا أن هذا التحالف بدأ فى الاهتزاز عقب وصول حزب العدالة والتنمية إلى السلطة فى تركيا عام ٢٠٠٢ حيث تبدّلت العلاقات بين البلدين من الاستقرار إلى التوتر ، ومن التحالف إلى التصدّع والاضطرابات التى عانت منها علاقات الدولتين من جراء تنامى حدة الانتقادات التركية للسياسات الإسرائيلية حيث اعتبرت أنقرة أن هذه السياسات تمثل أحد أهم عناصر عدم الاستقرار فى منطقة الشرق الأوسط .

تدهور العلاقات التركية الإسرائيلية :

لم يكن تدهور العلاقات بين تركيا وإسرائيل وليد اللحظة ، وإنما له جذور بدأت مع وصول حزب العدالة والتنمية للحكم عام ٢٠٠٢ والانتقادات التى كان يُوجهها الحزب للسياسات الإسرائيلية فى المنطقة ، وازداد التدهور فى أعقاب الحرب على غزة والذى بلغ ذروته فى حادثة دافوس بين رئيس الوزراء التركى أردوغان ورئيس الدولة الإسرائيلية شيمون بيريز والمشادة الكلامية التى حدثت بينهما ، إلا أن هجوم وحدة كوماندوس بحرية إسرائيلية على «أسطول الحرية» المكوَّن من ست سفن كانت متجهة لكسر الحصار البحرى المفروض على قطاع غزة فى ٣١ مايو ٢٠١٠ والذى أدى إلى مقتل تسعة أتراك أصاب العلاقات التركية الإسرائيلية بشرخ كبير ، وأصبحت لغة الخطاب التركية تجاه إسرائيل أكثر تشدداً ، وطالبت تركيا إسرائيل بالآتى :

١ - تقديم اعتذار رسمى

٢ - دفع تعويضات لأهالى الضحايا

٣ - رفع الحصار عن قطاع غزة

رئيس المجلس المصرى
للشئون الخارجية

إلا أن إسرائيل رفضت ذلك وخاصة تقديم الاعتذار الرسمى مما دفع تركيا إلى اتخاذ عدد من الخطوات تمثلت فى استدعاء السفير التركى من إسرائيل ، ومنع الطائرات العسكرية الإسرائيلية من استخدام المجال الجوى التركى ، واستمرت العلاقات فى التدهور الشديد مع إصرار تركيا على تقديم الاعتذار الرسمى ، الأمر الذى رفضته إسرائيل بشدة .

وبعد مرور خمسة عشر شهراً على الهجوم الإسرائيلى على «أسطول الحرية» ، جاء تقرير الأمم المتحدة للتحقيق فى العملية العسكرية على أسطول الحرية ليزيد الأمر سوءاً حيث لم يُحمِّل التقرير إسرائيل أية مسئولية قانونية وأقرّ بقانونية الحصار الإسرائيلى لغزة وتبنى وجهة النظر الإسرائيلية على الرغم من أنه انتقد إسرائيل لاستخدامها القوة «المفرطة» ، الأمر الذى دفع تركيا إلى اتخاذ الإجراءات الآتية :

١ ـ طرد السفير الإسرائيلى من أنقرة ، وتخفيض التمثيل الدبلوماسى معها إلى مستوى السكرتير الثانى .

٢ ـ تعليق كافة الاتفاقات العسكرية مع إسرائيل .

٣ ـ عدم اعتراف تركيا بالحصار الإسرائيلى المفروض على قطاع غزة ومراجعة المحكمة الدولية لإلغاء هذا الحصار .

٤ ـ دعم أهالى الضحايا لمراجعة المحاكم الأوربية لمقاضاة المسئولين الإسرائيليين الذين شاركوا فى الهجوم على سفينة «مرمرة» .

٥ ـ اتخاذ كل الإجراءات اللازمة لحماية سلامة الملاحة البحرية فى منطقة شرق المتوسط .

محددات التصعيد التركى تجاه إسرائيل :

لاشك أن هناك مجموعة من العوامل والمحددات التى ساعدت تركيا على اتخاذ هذا الموقف التصعيدى تجاه إسرائيل يُمكن تناولها كالتالى :

١ ـ محددات داخلية :

لم تعد تركيا هى نفسها الدولة التى وقّعت مع إسرائيل عدداً من الاتفاقات العسكرية فى عام ١٩٩٦ ، وذلك من حيث الظروف الداخلية سواء على المستوى الاقتصادى أو العسكرى أو السياسى ، ومؤسسات الدولة وعلى رأسها مؤسستا الجيش والقضاء ، والتى طالما شكلت نمط توجهات السياسة الخارجية التركية حيال إسرائيل على حساب النخب المنتخبة . ويمكن رصد هذا التغير كالتالى :

النخب والتيارات العلمانية :

الفوز المتكرر لحزب العدالة والتنمية التركى بالانتخابات البرلمانية وحصوله على شعبية ساحقة ، ونجاحه فى ترسيخ نفوذه من خلال الدعم القوى الذى يتمتع به من كافة أطياف المجتمع التركى غيَّر موازين القوى الداخلية حيث استطاع حزب العدالة والتنمية السيطرة على أغلب مؤسسات الدولة ، وأن يفرض رؤيته على مختلف هذه المؤسسات ، من خلال ارتكازه على «شرعية الإنجاز» بمعنى الارتكاز على الإنجازات التى شهدها المجال الاقتصادى من تطورات هائلة . وبذلك استطاع حزب العدالة والتنمية بقيادة رجب طيب أردوغان من الانتصار على النخب العلمانية التى كانت تلعب دوراً أساسياً فى رسم السياسة الخارجية التركية وخصوصاً تجاه إسرائيل .

المؤسسة العسكرية :

نجاح أردوغان فى تحجيم المؤسسة العسكرية الداعم الأول والرئيسى لإسرائيل وأطاح بأبرز معارضيه من قادتها فى أكبر حركة تغييرات تشهدها القوات العسكرية التركية حيث جاء رد الفعل التركى متأخراً بعد أن نجحت حكومة حزب «العدالة والتنمية» ذى التوجهات الإسلامية فى تتويج قوتها خلال العام الماضى وفرض سيطرتها على المؤسسة العسكرية التركية التى كانت تتدخل بقوة فى الحياة السياسية ،

خاصة بعد استقالات كبار قادة الجيش التركى مؤخراً وتعيين «نجدت أوزال» رئيساً جديداً للأركان ما يعنى انتهاء مسألة دعم المؤسسة العسكرية التركية لإسرائيل أو ممارسة أداة ضغط من جانب الجيش التركى على الحكومة للتعاون مع تل أبيب .

الصناعات العسكرية :

نجحت تركيا فى تحقيق الاكتفاء الذاتى عسكرياً حيث أعلن مسئول عسكرى تركى مؤخراً أن بلاده «لم تعد بحاجة إلى مساعدة إسرائيل فى مجال الصناعات العسكرية» ، وأن أنقرة تحولت إلى «الاكتفاء الذاتى» فى مجال عمليات التحديث والتطوير العسكرى . ونجحت تركيا فى ذلك من خلال الاعتماد على بديلين رئيسيين عن مشروعات التعاون العسكرى مع إسرائيل ، أولهما يتعلق بتطوير الصناعات العسكرية التركية اعتماداً على القدرات الذاتية ، وقد حققت بالفعل الصناعات العسكرية التركية فى هذا المجال عدداً من النجاحات الملموسة دفعت تركيا للتطلع إلى احتلال مكانة بين الدول المصدِّرة للسلاح وليس المستورِّدة له .

وأعلن مستشار الصناعات العسكرية التركية «مراد بايار» عن احتمالية امتناع حكومة بلاده عن إبرام اتفاق شراكة ثنائى مع الجانب الإسرائيلى فى مجال الصناعات العسكرية الدفاعية وتطويرها ، حتى إذا تم تجاوز الأزمة الدبلوماسية بين الطرفين ، وعادت العلاقات إلى مجراها الطبيعى كما كانت عليه فى السابق . كما أضاف فى تصريحات نقلتها عنه وسائل إعلام تركية ، أن تركيا عمدت إلى «الاكتفاء الذاتى» فيما يتعلق بتطوير منظومتها العسكرية حيث باتت قادرة على تحديث الطائرات الحربية من طراز (F4) وطائرات بدون طيار وحدها .

٢ ـ محددات إقليمية :

يُعتبر المشهد الإقليمى أحد العناصر الرئيسية فى تحولات العلاقات التركية الإسرائيلية ؛ فتركيا تعى جيداً أن تل أبيب أصبحت دولة منعزلة تُواجه تحديات داخلية متصاعدة بشأن تزايد تحقيق العدالتين الاجتماعية والاقتصادية . كما تُواجه تحديات فى البيئة الخارجية تتعلق بانهيار مختلف علاقاتها الإقليمية التقليدية ؛ فبعد سقوط نظام الشاه فى إيران ارتكزت إسرائيل على ضلعىّ مثلث يتمثل أولهما فى إرساء وصيانة السلام مع مصر ، وثانيهما يتعلق بتوطيد العلاقات المتشعبة مع تركيا . إلا أن سقوط نظام مبارك فى مصر وتدهور العلاقات مع تركيا ، جعل تل أبيب تُواجه عزلة إقليمية لم تُواجهها منذ تأسيسها وذلك بالنظر إلى أن تركيا هى أول دولة إسلامية تعترف بإسرائيل فى عام ١٩٤٩ .

بالنسبة لمصر :

لم تعد علاقات إسرائيل مع مصر على سابق عهدها ، والدليل على ذلك اندلاع مظاهرات مصرية كبيرة حول مبنى السفارة الإسرائيلية بالقاهرة ، وقيام أحد المتظاهرين بتسلّق مبنى السفارة وانتزاع العلم الإسرائيلى ووضع العلم المصرى بدلاً منه . هذا بالإضافة إلى تصاعد الموقف المصرى الرسمى حيال حادث مقتل عدد من الجنود المصريين على الحدود مع إسرائيل بالمقارنة بحوادث شبيهة حدثت فى فترات زمنية متفاوتة ، كل ذلك يحمل دلالة رمزية تُؤشر على تغير أنماط ومحددات صُنع السياسة الخارجية المصرية .

الثورات العربية :

الثورات التى تشهدها المنطقة العربية وتصاعد أدوار الشعوب العربية فى تشكيل أنماط النظم السياسية وطبيعة توجهاتها الخارجية ، أثبتت لتركيا بأن إسرائيل تُواجه مأزقاً إقليمياً كبيراً يتمثل فيما يُواجه السلام مع مصر من مخاطر ، وما تشهده سيناء من اضطرابات طالت آثارها العمق الإسرائيلى ، وما يُواجهه نظام الأسد فى سورية من تحديات تتعلق ببقائه . ويرى

بعض المراقبين أن موقف داود أوغلو القوى يُعتبر استغلالاً واستجابة لأحداث الربيع العربى ولاسيما الثورة المصرية التى أفقدت إسرائيل كنزها الإستراتيجى «مبارك» ، وتُطالب حالياً بإلغاء اتفاقات كامب ديڤيد وقطع العلاقات معها.

كل ذلك المناخ الإقليمى ، اعتبرته تركيا فرصة مثالية للتأثير على إسرائيل بعد حادث قافلة الحرية ، وذلك فى الوقت الذى اعتقدت فيه أن رد الفعل الإسرائيلى لا يُمكن أن يرقى إلى مستوى الحدث ، فلا يُمكن لتل أبيب ترك مثل هذه التحديات وتتجه للتصعيد مع تركيا.

مستقبل العلاقات التركية الإسرائيلية :

هناك مجموعة من العوامل والمحددات تُساهم فى رسم مستقبل العلاقات التركية الإسرائيلية ، وبناءً على هذه العوامل سيتم وضع مجموعة من السيناريوهات لهذه العلاقة . وتتمثل هذه العوامل فى :

١ ـ المحددات الداخلية :

● **المعارضة العلمانية التركية :**

هناك معارضة فى تركيا لتصرفات أردوغان ومواقفه حيال إسرائيل ، وهذه المعارضة تتمحور حول الجمهور العلمانى التركى الذى يُشكل حوالى من ١٥ ٪ إلى ٢٠٪ من مجموع الأتراك . وهؤلاء العلمانيون مستاءون من مواقف وتصرفات أردوغان حيال إسرائيل ، لكنهم لا يُشكلون أغلبية فى تركيا ولا معارضة قادرة على منعه من الاستمرار فى هذه المواقف .

ومن ثم ، فإن المعارك السياسية القادمة وعلى رأسها معركة تغيير الدستور التركى ، وتحويل النظام السياسى للدولة من نظام برلمانى إلى نظام رئاسى ، فضلاً عن انتخاب رئيس الوزراء التركى رجب طيب أردوغان كرئيس للجمهورية على أن يتمتع ذلك الرئيس بصلاحيات تنفيذية ، لاشك سيكون لها تأثير فى رسم شكل العلاقات التركية الإسرائيلية ومستقبل التصعيد التركى تجاه إسرائيل .

● **المؤسسة العسكرية :**

كما أشرنا من قبل إلى الخطوات التى اتخذتها حكومة حزب العدالة والتنمية لإبعاد الجيش عن الحياة السياسية ، فإن استمرار الحكومة فى اتخاذ مزيد من الإجراءات التى تُساهم فى إبعاد الجيش عن التدخل فى الحياة السياسية وخاصة فى رسم توجهات سياسية تركيا الخارجية تجاه إسرائيل سيُؤثر بلاشك على مستقبل العلاقات بين البلدين .

فمعركةالدستور القادمة لاشك ستشتمل على القضاء على أية «نوافذ دستورية» يُمكن أن تُؤدى إلى عودة نفوذ جنرالات الجيش فى المجال السياسى . ويرى المراقبون أن وضع رئاسة الأركان فى يدىّ «أوزال» ، الذى يدعم توجهات الحكومة سيُسهِّل عليها صياغة دستور جديد لتحجيم دور الجيش مؤسسياً وتحديد مهماته فى الدفاع عن الوطن ، ومنعه من التدخل فى أى شأن سياسى . ومن ثم ، إذا نجحت حكومة حزب العدالة والتنمية فى ذلك فإن الجيش التركى سيصبح غير قادر على منع أردوغان من انتهاج سياسته الحالية تجاه إسرائيل .

٢ ـ المحددات الإقليمية :

● **الصراع العربى الإسرائيلى :**

يُلاحظ أن أردوغان يربط العلاقات الثنائية بين بلاده وإسرائيل بتطورات الصراع العربى الإسرائيلى ، ومن ثم إذا استؤنفت عملية السلام على المسار الفلسطينى أو على المسار السورى أو على المسارين فى وقت واحد ، فإن ذلك سيُؤدى إلى تغيير موقف أردوغان تجاه

إسرائيل . لذلك من الممكن منع تدهور العلاقات الثنائية بإحياء عملية السلام .

● اختلاف رؤى الدولتين فى المنطقة :

بالنسبة لتركيا ، فإن استمرار احتلال إسرائيل للأراضى الفلسطينية خاصة غزة يُمثل حاجزاً لإنشاء أى نظام إقليمى متناغم ، وبالنسبة لإسرائيل فإن مساندة تركيا لحماس فى غزة بالإضافة للنظام الإيرانى كلها تُثبت تقدم حكومة حزب التنمية والعدالة سريعاً للانضمام لمحور المقاومة الإقليمى ضدها .

وبينما تعمل إسرائيل للحصول على حصار بحرى قانونى لقطاع غزة ، فى المقابل ترى تركيا أن حصار إسرائيل لقطاع غزة غير قانونى ، وأنها تُعامل البحر المتوسط وكأنه بحيرة خاصة بها وتُمارس أعمال بلطجة بالمتوسط ، وبينما ترى تركيا «مرمره» كسفينة إنسانية لسد الحاجة الماسة للمساعدة فى غزة ، تراها إسرائيل كسفينة مليئة بمؤيدى حماس «العنيفين» .

وبناءً على ما سبق ، تتعدد السيناريوهات المستقبلية لشكل العلاقات التركية الإسرائيلية :

● فالبعض يرى أن الخطوات التصعيدية التى قامت بها تركيا ضد إسرائيل ، جعلت إمكانية انهيار العلاقات بين البلدين وشيكة فى المستقبل القريب . وأن خطوة طرد السفير ستجعل أى تقارب بين البلدين غير وارد ، ومن شأنه توسيع الفجوة بين علاقات كل منهما المتباينة فى الشرق الأوسط بالإضافة إلى الاختلاف الشديد بين كل منهما فى دوره فى الشرق الأوسط ، وأن الحل الوحيد للخروج من هذا المأزق هو تغيير حكومتىّ البلدين ، وهذا من الصعب حدوثه على المستوى التركى نظراً للشعبية التى يتمتع بها حزب العدالة والتنمية .

● بينما يرى البعض الآخر أن تركيا لم تكسر قواعد اللعبة بعد وأن العلاقات معها قابلة للترميم ، ويُراهن أنصار هذا الرأى على قوة المصالح المتبادلة بين الدولتين وعلى وساطة أمريكية فى استعادة العلاقات بين تركيا وإسرائيل إلى «مسارها السليم» ، فالولايات المتحدة ستُواصل بذل مساعيها بهدف رأب الصدع بين إسرائيل وتركيا وإعادة العلاقات بينهما إلى ما كانت عليه لما فى ذلك من مصلحة أمريكية .

● بينما يرى كثير من المحللين أن تركيا لازالت تترك الباب مفتوحاً لتطبيع العلاقات مع إسرائيل من خلال تصريح داود أوغلو الذى قال فيه : «إن شروط تركيا لعودة العلاقات مع إسرائيل إلى طبيعتها مازالت كما هى : وخاصة فيما يتعلق بتقديم إسرائيل اعتذاراً رسمياً لتركيا ، وتعويض أهالى الضحايا ، ورفع الحصار عن غزة» .

ونخلص من ذلك إلى أنه لا يُمكن القول أن الأزمة الأخيرة سوف تُؤدى إلى تحول جذرى فى العلاقات أو انتهاء مرحلة التحالف الإستراتيجى لعدة أسباب وهى :

١ ـ حجم التشابك الكبير فى المصالح بين البلدين فى كل المجالات خاصة الاقتصادية حيث يصل حجم التبادل التجارى بينهما إلى أكثر من ثلاثة مليارات دولار ، وتأتى تركيا فى المرتبة السادسة كشريك تجارى لإسرائيل ، والتعاون العسكرى الذى يتمثل فى اتفاقات تقضى بقيام إسرائيل بتحديث الجيش التركى خاصة فى مجالات الطائرات الحربية إضافة إلى التعاون فى مجالات المناورات الحربية المشتركة واستخدام تل أبيب المجال الجوى التركى لإجراء تدريبات لطائراتها ، بل إمكانية استخدام هذا المجال فى حال قيام إسرائيل بتوجية ضربة جوية للبرنامج النووى الإيرانى .

٢ ـ تركيا قامت بتخفيض العلاقات ، لكنها لم تقطعها كما اتسم رد الفعل الإسرائيلى بمحاولة احتواء الغضب التركى من تقرير الأمم المتحدة الذى برأ الحصار الإسرائيلى على غزة ، وهو ما يعكس حرص الحكومة الإسرائيلية على تجاوز تلك الأزمة وعدم التصعيد

المقابل إزاء حليفتها الأقوى فى المنطقة وهى تركيا ، وهو ما أكد عليه نتنياهو .

٣ ـ دور الولايات المتحدة الحليف المشترك بينهما فى استعادة التعاون مرة أخرى فى العلاقات بين البلدين لما يمثلانه من أهمية إستراتيچية لواشنطن ، حيث ُتعد أنقرة أحد الأعضاء البارزين فى حلف الأطلسى . كما أن إسرائيل ُتعد حليفاً إستراتيچياً لواشنطن ، وبالتالى فهى تحرص على عدم تدهور علاقات الدولتين للحفاظ على التوازن الإستراتيچى فى المنطقة فى ظل حالة السيولة التى تمر بها العديد من دول المنطقة بعد اشتعال الثورات العربية ، كما أن تركيا ُتدرك جيداً أن علاقاتها الإستراتيچية بالولايات المتحدة مرهونة بمستوى ودرجة علاقاتها مع إسرائيل .

٤ ـ منهج تركيا فى السياسة الخارجية فى العقد الأخير وتحديداً منذ تولِّى حزب العدالة والتنمية لمقاليد الحكم فى البلاد هو «تصفير المشاكل» مع دول الجوار كما حدث مع سورية وإيران واليونان وقبرص ، ولذا لن تُحاول إيجاد مشكلة حقيقية أو تصادم مع إسرائيل .

وعلى الرغم من كل ذلك ، فإن الأزمة الحالية قد أحدثت شرخاً كبيراً فى العلاقات بين البلدين من شأنه عدم عودتها إلى سابق عهدها من التحالف الوثيق والانحياز التركى للدولة العبرية كما كان فى السابق وذلك لأن تركيا الآن ليست تركيا التى كان ُيسيطر عليها العسكر والتيار العلمانى والذى كان حريصاً على العلاقات الإستراتيچية مع إسرائيل وتجاوز أية أزمة تتعرض لها ، بل كان حريصاً على تدعيم تلك العلاقات على حساب التوجه العربى والإسلامى .

لكن بعد سيطرة حزب العدالة والتنمية على كل دوائر ُصنع القرار فى البلاد خاصة الجيش والقضاء ، أصبحت تركيا أكثر استقلالية فى علاقاتها بالدولة العبرية . كما أنها شهدت فى السنوات الأخيرة صعوداً إقليمياً بارزاً اقتصادياً بعدما أصبح اقتصادها يحتل المرتبة السادسة عشرة عالمياً وإسرائيل لا ُتمثل أهمية اقتصادية كبيرة لها . وعلى المستوى السياسى ، تزايد دورها ونفوذها فى تفاعلات المنطقة خاصة ثورات الربيع العربى كما حدث فى تونس ومصر وليبيا وسورية وتوجهاتها الجديدة بالتوازن الخارجى فى علاقاتها مع إسرائيل والغرب من ناحية والعالمين العربى والإسلامى من ناحية أخرى . ولذا ، فإن رد الفعل التركى الشديد تجاه إسرائيل هو رسالة واضحة ومحددة بأن تركيا لن تقبل أن تمس إسرائيل مكانتها وكرامتها باعتبارها أبرز القوى الإقليمية الحالية سياسياً واقتصادياً .

ومن ثم ، ستُحاول أنقرة وضع علاقاتها مع إسرائيل فى منطقة وسط بين التحالف الإستراتيچى التقليدى وبين التصادم ، وهذا سيدعم مصداقيتها أمام العالمين العربى والإسلامى بأنها كما اتخذت موقفاً حازماً ضد النظم الديكتاتورية العربية وانحازت للشعوب العربية فى ثوراتها ، فإنها أيضاً حريصة على دعم القضية الفلسطينية وحق الفلسطينيين فى إقامة دولتهم ، وأن تعاونها مع إسرائيل لن يكون على حساب الدعم التركى لهم ، وهو ما برز فى عزمها رفع دعوى قضائية لمحكمة العدل الدولية ضد شرعية الحصار الإسرائيلى لغزة ، كما تُحاول تركيا أن تخرج من تلك الأزمة وتوظيف موقفها الحازم تجاه إسرائيل لدعم مكانتها ودورها الإقليمى كلاعب أساسى وفاعل فى تفاعلات الشرق الأوسط بما يخدم توجهات السياسة الخارجية التركية الجديدة فى ظل حكم حزب العدالة والتنمية .

الأرمن فى مصر خلال القرن التاسع عشر

بقلم : باسكال كارمون

قراءة : أشرف الباز *

جذب الوجود الأرمنى البارز فى مصر خلال القرن التاسع عشر السيد باسكال كارمون قنصل عام فرنسا بالإسكندرية فى مطلع تسعينيات القرن المنصرم . وعن هذا الدور وتلك المكانة ، ألقى محاضرة عامة بالإسكندرية ، ونشرتها على حلقات مجلة «حامل الرسالة» Le Messager القاهرية خلال شهرىّ ديسمبر ١٩٩١ ويناير ١٩٩٢ . وبعد مرور أكثر من عشرين عاماً على صدور هذه المقالات ، يُسعد «أريك» أن تُقدم خطوطها العريضة .

يُعد الوجود الأرمنى فى مصر تراثياً وذا طابع خاص . ففى خلال القرن الثانى عشر الميلادى ، نجحت مجموعة من الوزراء الأرمن فى إدارة دفة الحكم الفاطمى . ورغم اعتناقهم الإسلام ، فإنهم لم ينسوا أصلهم الأرمنى . ولكن خلال القرن التاسع عشر ، ظهرت جالية أرمنية لم تعتنق الإسلام ، وعاشت بحرية تامة على أرض مصر التى رحّبت بها . ولذا ، أبدى الأرمن شأنهم شأن آخرين كثيرين امتناناً حقيقياً لهذه الحفاوة المصرية .

خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر كانت الجالية الأرمنية أصغر الجاليات عدداً فى مصر ، ولكنها كانت الأبرز اقتصادياً والأقوى سياسياً . والثابت تاريخياً أن محمد على «العبقرى مؤسس مصر الحديثة» قد اعتمد بشكل واسع على الأرمن لاسيما «المغاوير الأوائل» من قبيل أبراهام أميرا قره كهيا ويغيازار أميرا بدروسيان وغيرهما . وثمة ارتباط وثيق بين محمد على والأرمن على أساس وحدة الثقافة واللغة التركية . ومن المفارقات ، رغم أن الباشا جعل «التركية» لغة الإدارة الرسمية فى مصر وعاش فى أجواء عثمانية ، فقد راوده حلم انتزاع مصر من الإمبراطورية العثمانية .

همزة وصل

ووصلاً لمزايا الأرمن ؛ إذ اشتهروا بصفتهم متحدثين ماهرين باللغة التركية . ورأى فيهم الوالى المصرى «همزة وصل» بين الشرق والغرب ؛ إذ أن الأرمنى كان يجمع بين الأسيوى العارف بعوالم الشرق والحضارة الإسلامية وبين الأوربى المتعلم تعليماً فرنسياً ليبرالياً ، وهو الأمر الذى لم يكن أبداً يُخيف مؤسس مصر الحديثة ، صديق فرنسا . وعلى العكس ، كان الباشا يُفضل أن يرى التأثير الفرنسى متوغلاً فى إدارته ، ولكن عن طريق الأرمن المتعلمين فى فرنسا ، وليس عن طريق الفرنسيين أنفسهم .

* كاتب وقاص

وباختصار ، وثق محمد على فى الأرمن لأنهم كانوا أُناساً مخلصين مجردين من كل مصلحة ؛ إذ أنهم كانوا يُمثلون أنفسهم فقط ، ولم يكن فى مقدورهم فرض أية توجهات سياسية على مصر شأن الإنجليز والفرنسيين . واستطاع الباشا عن طريقهم الإمساك بخيوط شبكة العلاقات الدولية المتناقضة . وجدير بالتسجيل أن محمد على كان رجلاً «متفتحاً» بامتياز ، والحاكم المسلم الأكثر تسامحاً فى عصره والأكثر استنارة فى قرنه . وفى هذا الصدد ، ثمة كلمات جد مهمة كان الباشا يُرددها دوماً : «إن المسلمين والمسيحيين ليسوا هكذا فى نظرى إلا فى مساجدهم وكنائسهم التى يترددون عليها ، أما خارجها فهم جميعاً إخوة» . وبخصوص إيثاره الأرمن لإدارة دولاب حكومته ، كانت إجابته : «لأنهم يُقدمون طاقة لا تهدأ ، وإخلاصاً مثالياً ، ويقومون بمهامهم بكل حيوية وحماس وضمير أفضل من غيرهم ، ويرتقون بشئون الولاية بخطى كبيرة» .

عاش الرعيل الأول من الأرمن فى معية محمد على بمثابة تجار وماليين . وبعد فترة ، استدعى الباشا أرمن آخرين على الأرجح من أقارب الرعيل الأول . ومن ثم ، اتسعت دائرة أنشطتهم لنجد من بينهم صيارفة ووكلاء تجاريين وتراجمة وسكرتيريين خصوصيين قبل أن يتبوؤا مناصب عليا من قبيل رئاسة الدواوين والنظارات . وعلاوة على رجال المال والموظفين الأرمن ، استقدم الباشا طائفة من الأرمن الحرفيين للإسهام فى مشروعاته التنموية . ولذا ، نجد بنّاءين ونجارين وحدادين وإسكافية وخياطين أرمن . وفى بلاط الباشا ومعيته ، كان معظم الخدم والممونين والمتعهدين من الأرمن . وثمة آراء تنسب بناء مسجد محمد على بالقلعة إلى المعماريين الأرمن المشهورين فى العاصمة العثمانية ؛ ففى الأستانة اشتهرت أسرة باليان الأرمنية المسيحية بتشييد المساجد الرائعة الفخمة . وبذا ، تعانق الفن الإسلامى مع الفكر المسيحى فى بنايات دينية .

رجل الأزمات

اشتهر بوغوص بك يوسفيان ، أو السيد بوغوص كما كان يُطلق عليه فى الدوائر الفرنسية ، من بين كل الأرمن الذين كانوا يدورون فى فلك الوالى المصرى على كافة المستويات ؛ إذ تفوق عليهم جميعاً وتقدمهم لمدة ثلاثة عقود . وقد نعتته الأوساط الدبلوماسية بـ «رجل كل الأزمات» . وثمة شهادات جد مهمة فى حق بوغوص . ففى عام ١٨١٨ زار الكونت دو فوربين مصر والتقى بمحمد على الذى أعرب له عن رغبته فى التواصل مع ملك فرنسا . هنا ، كان بوغوص همزة الوصل بين الباشا والكونت بصفته ترجمان الوالى . وفيما يتعلق بالترجمان ، فقد وصفه الكونت قائلاً : «لدى بوغوص أساليب غاية فى المرونة ؛ إذ أنه قادر على التعامل مع كل الأطراف ، ويمتلك مجموعة نادرة من صفات الجرأة والحذر» . وفى عام ١٨٢٣ ، وصف الكاتب الفرنسى فيلكس منجين بوغوص بالمرونة والتركيز الشديد فى العمل إضافة إلى أنه «يمتلك الحكمة ولا تنقصه البراعة ، كما يمتلك الاستقامة والصراحة» .

أتقن بوغوص اللغات الشرقية والأوربية ، وعرف كيف يتعامل مع الأتراك والأوربيين ، وهو ما كان له تأثير إيجابى بالنسبة لمحمد على . ففى عام ١٨٣٩ ، شنّ الوالى المصرى الحرب على الدولة العثمانية ، وكاد الجيش المصرى بقيادة إبراهيم باشا دخول الأستانة لولا تدخل بريطانيا والنمسا وروسيا . ومرة أخرى ، أُثيرت مجدداً المسألة الشرقية . هنا ، قاد بوغوص مباحثات السلام نيابة عن الوالى بكل مهارة . وبفضل تمدنه وحكمته وموهبته فى الإقناع ، تمكن من استعراض وجهة نظر الباشا . وأمام تحديات جسام ، استخدم

بوغوص مخزوناً هائلاً من الحضور حتى يُمكنه إقناع الأستانة وأوربا فى آن واحد . وهكذا ، رغم أن الوالى محمد على كان متمرداً على سلطانه وكان مهدداً بفقد ولايته وحياته ، فإن المفاوض الضليع بوغوص قد دافع عنه باقتدار وتمكن من الحفاظ على ولايته وحصوله على حكم مصر بالوراثة فى أسرته . وبذا ، خرج محمد على فائزاً من هذه الأزمة ، ويُوضع حجر الأساس لاستقلال مصر .

أثنى الأوربيون بشدة على مهارات بوغوص الفائقة جراء مفاوضات صعبة كان الشرق مسرحها والشرقيون ممثليها . وفى مطلع عام ١٨٤٤ ، توارى نور بوغوص فى الإسكندرية بعد أن أمضى ثلاثين عاماً فى خدمة مصر وواليها ، كان خلالها بمثابة كاتم أسراره الوحيد ومستشاره الأوحد . ولكن قبل وفاة بوغوص بثلاث سنوات ، قدّم لمصر هدية : فتى فى الثامنة عشرة اسمه نوبار .

أداة التحديث

قلّد محمد على أرتين بك تشراكيان الكاثوليكى خلفاً لبوغوص فى منصب «مدير التجارة والأمور الإفرنجية» . وكان أرتين قد دخل فى خدمة الحكومة المصرية منذ عودته إثر تعليمه فى فرنسا ضمن بعثة عام ١٨٢٦ . وقد أمضى معظم وقته فى ترجمة الكتب العسكرية من الفرنسية إلى التركية . وعندما كوّن الباشا ديوان المعية ، كان أرتين من أبرز المستشارين فيه . وبذا ، كان الأرمن أداة الوالى فى تحديث مصر . ولاريب أن عصر محمد على يُعد بمثابة العصر الذهبى للأرمن بفضل كوكبتهم التى تمتعت بموقع سياسى مهم علاوة على كونهم صفوة منتقاة من البيروقراطيين . والحقيقة من أسرار نجاح محمد على رفعه شعار : التميز لا التمييز . ورغم أن معظم المؤرخين يوسموه بـ «مؤسس مصر الحديثة» ، فالأحرى بهم أن ينعتوه بـ «رائد النهضة فى العالم الإسلامى» .

وعلى النقيض تماماً من الجد ، كان حفيده وخليفته عباس باشا الأول (١٨٤٨ ـ ١٨٥٤) ماقتاً للأرمن وسعى بخطى حثيثة وراء تهميشهم وتصفيتهم . ففى عام ١٨٥٠ ، جرّد أرتين من مناصبه وألقاه فى السجن . بيد أن أرتين استطاع الهرب من سجنه إلى فرنسا . ومن سخرية القدر ، لم يجد عباس غير أرمنى كاثوليكى آخر يحل محل أرتين ؛ إنه إسطفان بك دميرچيان الذى تقلّد منصب ناظر الخارجية حتى عام ١٨٥٧ . وبذلك ، فصل عباس الخارجية عن التجارة التى تولاها أرمنى من أسرة نوباريان العريقة ؛ إنه أراكيل بك نوبار .

آل نوبار : الحسب والنسب

بعد وفاة عباس ، اتسم عمه وخليفته محمد سعيد باشا (١٨٥٤ ـ ١٨٦٣) بالمرونة والثقافة الواسعة . وفى عام ١٨٥٧ ، قلّد الوالى المصرى آراكيل بك حاكماً على الخرطوم وسنار وملحقاتهما ليكون أول حاكم مسيحى على أرض مسلمة . وجدير بالإشارة هنا أن السودان وقتذاك كان بمثابة سيبريا لمصر ، ولكن سيبريا حارة جداً وفقيرة جداً . ورغم ذلك بذل أراكيل كل جهوده لإعمار السودان حتى وافته المنية جراء إصابته بمرض إستوائى عضال فى عام ١٨٥٨ .

تقودنا وفاة آراكيل إلى شقيقه الأبرز : نوبار الذى وُلد فى أزمير عام ١٨٢٥ وتوفى بباريس عام ١٨٩٩ ودُفن فى كنيسة بوغوص بدروس بالإسكندرية . ورغم شهرة نوبار ، فإنه قد فُهم بشكل خاطئ وغير صحيح فى مصر وأوربا . وفيما يتعلّق ببورتريه نوبار ، ثمة ملامح وسمات وصفات أجمع عليها مشاهدوه ومعاصروه ؛ إذ أنه كان منضبطاً من شعر رأسه حتى إخمص قدميه . امتلك مواهب جد متعددة ، وكان لديه حس عال جداً للتواصل الإنسانى . وكان يدرك حجمه جيداً ويقف على حقيقة قدراته . ولذا ، كان دوماً

يتشبث بوجهة نظره . وبإيجاز ، كان نوبار مفعماً بالزهو ، بيد أنه الزهو المفعم بخليط من المرونة والتواضع . واتسم بالمثالية والحماسة والحمية . رغم تكوينه الأرستقراطى ، فإنه كان دوماً يُحارب الظلم واستغلال البسطاء . كان معروفاً بشدة فى قصور أوربا ومقار الحكم فيها . ونال احترام شخصيات كبرى من قبيل بسمارك الألمانى ودزرائيلى البريطانى .

المفاوض الأريب

قام نوبار بدور محورى فى التاريخ المصرى العام زمن الخديو إسماعيل (١٨٦٣ ـ ١٨٧٩) . وفى بداية هذه الحقبة ، حصل نوبار بك على رتبة الباشوية ليكون أول مسيحى يحصل عليها فى التاريخ العثمانى . وخلال عامىّ ١٨٦٦ ـ ١٨٦٧ ، حصل الدبلوماسى والمفاوض البارع نوبار باشا على ثلاثة فرمانات رئيسية : قناة السويس ، الوراثة ، الخديوية . بالنسبة للقناة ، رغم ابتداء الحفر فى أواخر أيام سعيد ، فقد كان ينبغى الحصول على موافقة الباب العالى ، وهو ما نجح فيه نوبار . وبخصوص الوراثة ، حصل نوبار على موافقة الباب العالى بأن يرث الابن الأكبر سناً للحاكم ولاية مصر بدلاً من الأكبر سناً فى أسرة محمد على بأكملها . ووصلاً لهذه الخصوصية ، صار الوالى إسماعيل باشا يُلقب بـ «الخديو» (كلمة فارسية تعنى العزيز) وصارت مصر تُسمى الخديوية . وهكذا ، أسهمت هذه الفرمانات فى تعميق استقلالية مصر إضافة إلى ما حصل عليه «الباشا الكبير» .

استفاد نوبار من هذه الجولات التفاوضية فى توسيع دائرة المناورات لديه خصوصاً وأنه تولى على أثرها منصب ناظر الخارجية . وأيضاً ، أسهمت بامتياز فى تراكم الخبرة التفاوضية لديه التى احتاجها لتحقيق مشروعه الكبير : الإصلاح القضائى ؛ إذ على مدار عقد كامل لم ينم نوبار بغية إنجاز هذا الحلم . وحتى نُدرك مدى انحطاط القضاء فى مصر ، نترك القلم لفلاح مصرى اسمه أحمد كى يرسم لنا ملامح هذا الانحطاط وأبعاده وتداعياته .

يقول الفلاح المصرى : «بفضل التدخلات الدبلوماسية وليس القوانين ، أغرت التجاوزات وقانون الأقوى كل أوربى وطأ أرض مصر بأن يتوهم أنه السيد ويجلب معه قوانين بلاده ، لا ليحترمها فى حال ارتكابه خطأ ، ولكن من أجل السماح لنفسه بخرق قوانيننا ؛ فهو لا يعترف بحكومة أو إدارة أو قضاء فى مصر . ويعترف فقط بقنصله . لقد كان فى مصر ١٧ قنصلية ، أى ١٧ دولة داخل مصر» . لهذا ، كله أفنى نوبار جزءاً كبيراً من حياته الوظيفية والإنسانية لمحاولة الإصلاح القضائى فيما تمخض عنه نموذج «المحاكم المختلطة» . وإضافة إلى هذا الإنجاز ، أسهم نوبار بفعالية فى إلغاء نظام السخرة بمصر .

وعندما أسست الحكومة المصرية الوزارات المسئولة ، كان نوبار باشا أول رئيس نظار (١٨٧٨ ـ ١٨٧٩) خلال حكم إسماعيل ، ثم شكّلها ثانية (١٨٨٤ ـ ١٨٨٨) زمن الخديو محمد توفيق باشا (١٨٧٩ ـ ١٨٩٢) ، وثالثة (١٨٩٤ ـ ١٨٩٥) أثناء حكم الخديو عباس حلمى الثانى (١٨٩٢ ـ ١٩١٤) . ويُلاحظ فى هذا الثالوث ، أن نوبار تقلّد النظارة إثر أزمة فى كل مرة . وعلى مدى ست سنوات رأس فيها النظارة المصرية ، تقلّد حقائب نظارية أخرى من قبيل الخارجية والداخلية والأشغال العمومية والتجارة والحقانية .

الباشا واللورد

ويشهد التاريخ أن نوبار كان نداً قوياً للمعتمد البريطانى فى مصر اللورد كرومر الذى ظل جاثماً على أنفاس مصر والمصريين لمدة عقدين من الزمان بشخصيته

التسلطية والقاسية . وقد قاومه نوبار بكل الطرق الدبلوماسية وغير الدبلوماسية لدرجة أنه صاح فى وجه كرومر قائلاً : «إنكم أتراك الغرب» . ولاريب أن نوبار كان يقصد بهذا الكلام أن بريطانيا تُريد الاحتلال النهائى لمصر بدلاً من الدولة العثمانية .

أبو الفلاح

على أية حال ، باستعفاء نوبار من منصبه فى عام ١٨٩٥ ، يكون قد أمضى «٥٢» عاماً فى خدمة مصر وشعبها على امتداد سبعة حكام . وإذا كانت ثمة أصوات ضد نوبار ، ولكن فى المقابل اعترفت مصر العميقة والرسمية والشعبية بنوبار : القامة والقيمة ؛ فهو أبو الفلاح ، أحد أعظم رجال الشرق ، شارع نوبار بوسط القاهرة ، ترعة النوبارية ، النوبارية ، القطن النوبارى ، المحراث النوبارى ، محطة سكة حديد نوبار بالقرب من طنطا ، تمثال تذكارى فى الإسكندرية (١٩٠٤) .

وقبل مغادرة الحديث عن نوبار ، لابد من العروج على علاقته مع فرنسا وبريطانيا والأرمن .

كان نوبار قريباً جداً من فرنسا ؛ إذ حمل ذكريات مفعمة بالحب عن مدرسته «سوريز» ـ مدرسة أبناء الملك . وفى الحادية والعشرين من عمره ، حصل على قلادة شرفية من الملك الفرنسى لويس فيليب . وفى التاسعة والثلاثين من عمره ، نال وشاح القائد من الإمبراطور الفرنسى نابليون الثالث . وإذا كان نوبار يتحدث التركية مع الحكام والدوائر العثمانية ، فإنه لم يتحدث مع أسرته سوى الفرنسية . وثمة كم هائل من الرسائل المتبادلة بينه وبين زوجته فوليك هانم التى تتناول أفكاره وهواجسه وآماله وطموحاته ، وكلها مكتوبة دون استثناء باللغة الفرنسية . ولاغرو أن كتب نوبار مذكراته باللغة الفرنسية (٥٢٨ صفحة) . وبذا ، لا نذكر سوى شواهد على ارتباط نوبار بفرنسا التى آثرها بالأحرى من أجل قضاء بقية أيام شيخوخته فيها .

مصر أولاً

ورغم هذه الحميمية ، ثمة مشكلتان عكرتا صفو علاقات نوبار مع فرنسا ؛ أولاهما خاصة بقناة السويس وثانيتهما متعلقة بالإصلاح القضائى .

فيما يتعلق بقناة السويس ، اقتنع نوبار بوجهة نظر محمد على الذى لم يكن يرغب فى خلق «بوسفور ثان» ، وخشى أن تُعرِّض القناة مصر للغزو . وفى هذا الصدد ، استشهد نوبار بالفرعون نخاو ـ من الأسرة السادسة والعشرين ـ الذى رفض فكرة وصل البحرين بقناة حتى لا تُسِّهل غزو مصر . وهنا ، لم يكن نوبار ضد فرنسا ، ولكن بالأحرى ، حريص على المصلحة العليا لمصر .

أما الإصلاح القضائى ، فقد تسبب فى خلق «سوء تفاهم» دام طويلاً بين نوبار وفرنسا ، إذ بسبب هذا الإصلاح ، طُرحت قضية «الامتيازات» التى كانت بطلتها فرنسا . وبمرور الوقت ، اتسمت الامتيازات بالعديد من «التجاوزات الخارقة» . ولذا ، حارب نوبار هذه التجاوزات ، ولم يُحارب فرنسا . بيد أن الأخيرة رأت فى الباشا «عدواً» . وبذا ، لم يكن نوبار ضد فرنسا ، ولكن الأخيرة هى التى كانت ضده . وهنا أيضاً ، كانت معارضة نوبار تصب فى مجرى مصلحة مصر العليا .

لهذا كله ، روّجت فرنسا فكرة أن نوبار «عميل إنجليزى» . بيد أن فتح ملف الجدل بين نوبار وكرومر كفيل بأن يُبدد هذه «الاتهامات الخيالية» . وفى هذا الخصوص ، ثمة شهادة فرنسية جديرة بالإشارة قالها ملشيور دو فوجيه : «حارب نوبار ضد الإنجليز من أجل انتزاع نسمات الاستقلال» .

الثالوث الأرمنى

أما الأرمن ، ففى يونية ١٨٧٨ دعى المستشار الألمانى أوتو ڤون بسمارك نوبار لحضور فعاليات مؤتمر برلين المنعقد لتسوية «المسألة الشرقية» التى فجّرتها الحرب الروسية العثمانية ١٨٧٧ ـ ١٨٧٨ . وفعلاً ، حضر نوبار المؤتمر بصفته الشخصية وليس ممثلاً للأرمن ولا حتى للحكومة المصرية . وكان من ضمن أهداف المؤتمر حمل الأستانة على تبنى الإصلاحات فى شرقى الأناضول . ولذا ، استغل نوبار المؤتمر من أجل إعداد مشروع إصلاحى خاص بالولايات الأرمنية الست شرقى الأناضول . وقد اتسم هذا المشروع بالتوازن والفاعلية والواقعية . ولذا ، كانت حظوظه كبيرة فى أن يقبله الباب العالى . ولكن باءت محاولته الإصلاحية بالفشل . ورغم هذا ، تجدر الإشارة إلى أن كواليس مؤتمر برلين شهدت حضوراً أرمنياً من ثالوث شهير : نوبار «الأرمنى المكير» حسب توصيف بسمارك ، الچنرال الكونت لوريس ميليكوف عضو الوفد الروسى «ديكتاتور القلب» ، الأمير مالكوم خان «چنرال الصحافة» سفير فارس لدى بريطانيا .

غرام وانتقام

ومن نوبار إلى زوج ابنته زيبا : ديكران باشا دابرو (١٨٤٦ ـ ١٩٠٤) ؛ آخر أرمنى رجل دولة فى مصر ، خامس وزير خارجية لمصر من أصل أرمنى . تربى ديكران على النهج الفرنسى ، وحمل اسم أشهر ملوك أرمينية القديمة ، ديكران العظيم (٩٥ ـ ٥٥ ق . م) . بدأ حياته العملية فى الثانية والعشرين من عمره فى نظارة الخارجية على عهد ذى الفقار باشا . ومنذ عام ١٨٨٤ وحتى عام ١٨٨٨ ، شغل ديكران وظيفة وكيل نظارة الخارجية . ومنذ عام ١٨٩١ وحتى عام ١٨٩٤ ، تقلّد نظارة الخارجية أربع مرات على التوالى .

وثمة نجاحات جديرة بالذكر كان بطلها الأول ديكران . ففى عام ١٨٩٣ ، أراد السلطان عبد الحميد الثانى تغيير الحدود المصرية وانتزاع بعض ممتلكات مصر من بين أحضانها ؛ طابا على الحدود الشرقية ، وزيلع عند الحدود الجنوبية . بيد أن ناظر الخارجية المصرية ديكران دابرو رفض تنفيذ الفرمان السلطانى وأعاده بقوة إلى الأستانة . وإزاء هذا الموقف ، خضع السلطان واعترف بثبات الحدود المصرية .

واتسمت السياسة العامة لديكران إزاء الإنجليز بـ «المعارضة» . ولذا ، نظر كرومر إليه بمثابة «عدو» ، لأنه تشبث بالدفاع عن مصالح مصر بصلابة وقوة . ومن كلماته المأثورة البليغة للمعتمد البريطانى فى مصر : «هل أنا وزير مصرى؟ أم أننى موظف عينته الحكومة البريطانية؟» . ولهذا ، قاوم كرومر بكل ثقله فكرة أن يرتقى ديكران إلى منصب «رئيس النظار» . وهكذا ، عوقب ديكران الأرمنى المسيحى لأنه دافع بكل قوة عن مصر . وعلى مدار «٢٢» سنة (١٨٨٤ ـ ١٩٠٦) ، شغل يعقوب أرتين باشا وظيفة وكيل نظارة المعارف العمومية . وقد اشتهر بأدواره التعليمية والتربوية والثقافية . ورغم هذا ، لم ينجح فى اعتلاء قمة النظارة كـ «موقع سياسى» .

على أية حال ، برحيل نوبار وديكران ، تنتهى الحقبة الذهبية للأرمن بكونهم رجالات دولة من الطراز الفريد فى منظومة التاريخ المصرى الحديث . وحتى هذا التوقيت ، كانوا فقط العنصر غير المسلم فى البيروقراطية المصرية .

موجز تاريخ الشعب الأرمنى

من العصور القديمة إلى العصور الحديثة

ترجمة : سحر توفيق
عرض : عطا درغام

الجزء الثالث

تأليف : چورچ بورنوتيـان

استعرضنا فى العدد السابق ، الجزء الثانى من عرض كتاب «موجز تاريخ الشعب الأرمنى من العصور القديمة إلى العصور الحديثة» تأليف المؤرخ الأرمنى الأمريكى چورچ بورنوتيان . وقد عرضنا الجزء الثانى من الفصل السادس الذى جاء تحت عنوان «الصليب والكتابة : الأرشاكيون ٢١٧ ـ ٤٢٨» . وفى هذا العدد ، نواصل قراءة هذا العمل المهم على درب تعريف القارئ العربى بالتاريخ الأرمنى العام ومحطاته الفارقة .

خصص بورنوتيان الفصل السابع «معابد النار والأيقونات» لاستعراض أوضاع أرمينية تحت الحكمين الفارسى والبيزنطى (٤٢٨ ـ ٦٤٠) ، وهى الفترة التى شهدت أفول العالم القديم وبزوغ فجر المرحلة المبكرة من القرون الوسطى . وأدت الحروب المستمرة إلى إهدار واستنفاد الموارد الفارسية والبيزنطية ، ومهدت لنشأة قوة سياسية ودينية جديدة ؛ ألا وهى العرب والإسلام . وجدير بالذكر أنه خلال ما يزيد على قرنين بعد تقسيم أرمينية إلى فارسية وبيزنطية ، واجه الإقليمان الأرمنيان أوضاعاً سياسية ودينية واقتصادية ـ اجتماعية شديدة التباين .

أرمينية الفارسية

بالنسبة لأرمينية الفارسية ، عيّن الساسانيون «مرزبان» لحكمها ، وأقام فى العاصمة دڤين ، وحظى بسلطات إدارية وقضائية ودينية . واستمرت سيطرة النخرار الأرمن على عدة مناطق مرتفعة ، وظلوا فى الغالب يتمتعون بالحكم الذاتى . ولكن عندما خشى التاج الفارسى من مسيحيى الإمبراطورية الفارسية ، بدأوا فى تعيين قيادة الكنيسة الأرمنية ، ومن ثم ، تم استبعاد البيت الجريجورى الذى كان محل ارتياب الفرس والنخرار فيما يتعلق بمناصرة قضية استعادة المملكة وحكومة أرمنية أكثر مركزية . ونتيجة التحكم الفارسى فى الشئون الدينية ، فقدت الكنيسة الاتصال مع الغرب مما أدى إلى نتائج عقائدية وسياسية خطيرة لاحقاً . وبعد مجمع إفيسوس (٤٣١) ، رحبت فارس بالنساطرة كأعداء لبيزنطة . وفى هذا الإطار ، رأى الساسانيون أحياناً الكنيسة الأرمنية بمثابة جزء من الكنيسة النسطورية فى فارس .

ومنذ عام ٤٣٩ ، ومع اعتلاء يزدجرد الثانى العرش ، ثمة تحولات جد فارقة فى المجرى العام لتاريخ الشعب الأرمنى . فقد حاول يزدجرد فرض «الزرادشتية» ـ عبادة النار ـ على كل الشعوب غير

الفارسية بالإمبراطورية ، وبعث كهنة زرادشت لدعوة الأرمن إلى الدخول فى هذه الديانة . ولذا ، تجمع بعض النخرار ورجال الكنيسة فى أرتاشات عام ٤٤٧ بقيادة ڤاردان ماميكونيان ، وبعثوا إلى الملك رسالة أعلنوا فيها : رغم أنهم مخلصون لفارس ، فإنهم مخلصون أيضاً للكنيسة . وفى المقابل ، ثمة فريق آخر موال لفارس بقيادة ڤاساك سيونى . هذا ، وقد استمرت المقاومة حتى عام ٤٥٠ ، عندئذ ، أعلن الأرمن تمردهم ضد الفرس ، وشاركهم فيه كل من الچورچيين والألبان القوقازيين .

وفى عام ٤٥١ ، التقى جيش الفرس الرئيسى بالمتمردين على سهل أڤاراير (يقع حالياً بالقرب من ماكو بإيران) فى معركة هلك فيها ڤاردان وجيشه بأكمله، وأصبحوا من شهداء الكنيسة الأرمنية . ورغم عدم اشتراك سيونى فى المعركة ، فقد وصمته الكنيسة بتهمة «الخيانة» . وأدى موت ڤاردان والمصاحبين له إلى رفعهم لمرتبة «الشهداء» الدينيين والوطنيين . وعلى مدى العقدين التاليين ، سعى الأرمن إلى الثأر لشهداء أڤاراير بسلسلة من عمليات التمرد والعصيان فى أرمينية وچورچيا ، مدعومين من جانب الكنيسة الأرمنية فيما عُرف بـ «حروب ڤاردانانك» . وفى عام ٤٨١ ، تمكن الثوار تحت زعامة ڤاهان ماميكونيان من السيطرة على دڤين ، وهزيمة الجيش الفارسى فى العام التالى.

وبعد فترة من الاضطرابات وتعرُّض الكيان الساسانى للتصدع ، تجددت فى عام ٤٨٤ العلاقات السلمية بموجب معاهدة نوڤارساك التى منحت أرمينية حرية العبادة . وظل ڤاهان ماميكونيان مرزباناً لأرمينية الفارسية عقدين من الزمان . وبذا ، يحتفل الأرمن حتى اليوم بـ «أڤاراير» و «نوڤارساك» بمثابة انتصارات معنوية وبقاء هويتهم الدينية والثقافية . وبعد موت ڤاهان ، استمر المرزبانات الأرمن الثمانية ، الذين حكموا بصورة متقطعة ، فى مواجهة الضغوط الزرادشتية حتى الغزوات العربية .

ومن المحطات الفارقة على الدرب العام لتاريخ الشعب الأرمنى رفض الأساقفة الأرمن فى عام ٤٩١ قرار مجمع خلقيدونية (٤٥١) الذى أعلن أن طبيعتىّ المسيح البشرية والإلهية لم تكونا منفصلتين ، ولكنهما اتحدتا بلا لبس أو تغيير أو انقسام . وتجدر الإشارة إلى أن الكفاح الڤاردانى قد حال دون حضور الأرمن مجمع خلقيدونية . وقد صنّف كثير من الفقهاء الكنيسة الأرمنية ضمن المنتمين إلى مذهب الطبيعة الواحدة (المنافزة) . ويرجع رفض القرار الخلقيدونى إلى خشية الأرمن أن تقوم السلطة الكهنوتية القوية فى القسطنطينية بابتلاع كنيستهم . وبذا ، استطاع الأرمن الاحتفاظ بكنيستهم القومية وتجنب المشاكل مع الفرس بفضل تأكيد موقفهم المذهبى الفريد ورسولية كنيستهم . بيد أن الضغوط البيزنطية لعدة عقود قلائل تالية ، أجبرت الكنيسة الأرمنية على الانفصال التام عن القسطنطينية رسمياً فى عام ٦٠٨ أو ٦٠٩ .

أرمينية البيزنطية

حاول البيزنطيون تحويل أرمينية البيزنطية تدريجياً إلى منطقة مشابهة لبقية إمبراطوريتهم . وقد تم تقسيم أرمينية الصغرى إلى : أرمينية الأولى وعاصمتها سيباستيا (سيواس) ، أرمينية الثانية وعاصمتها ميليتينة (مالاتيا) . أما الجزء الغربى من أرمينية الكبرى ، فقد أصبح معروفاً بأرمينية الداخلية . واحتفظ عدد من عائلات النخرار والأمراء من قبيل ماميكونيان وأرشاكونى بممتلكاتهم ، ولكنهم دفعوا الضرائب وزوّدوا بيزنطة بالقوات العسكرية .

ورغم الإدارات المنفصلة ، ثمة قنوات اتصال متعددة بين أرمينية الفارسية وأرمينية البيزنطية . فقد كانت

التجارة القادمة من الصين وفارس تمر عبر أرتشات ونصيبين إلى أرمينية البيزنطة . وأبقى النساطرة الفرس على مدرسة لاهوتية ومركز للترجمة فى الرها ، حيث كان يدرس فيها الأرمن الخاضعون لفارس . وكان الزواج يتم بطريقة عادية بين الأرمن الذين يُقيمون على حدود المنطقتين ، كما كان السفر مسموحاً به رغم وضع بعض القيود عليه .

وبدأ الإمبراطور زينون فى إجراء أول تغييرات رئيسية فى أرمينية البيزنطية عندما أدخل عدداً من القوانين الرومانية إلى أرمينية الداخلية لصياغتها كى تتوافق مع أرمينيتين الأولى والثانية . وفى تلك الفترة ، توترت العلاقات البيزنطية الفارسية بسبب رغبة بيزنطة فى كسر الاحتكار الفارسى للحرير الصينى . واندلعت الحروب بين القوتين فى أرمينية البيزنطية وبلاد ما بين النهرين (٥٠٣ ـ ٥٠٥ ، ٥٢٤ ـ ٥٣١) . وفى عام ٥٣٣ ، أبرم أنوشروان الفارسى اتفاق «سلام دائم» مع جوستنيان البيزنطى .

وبعد أن أنهى الإمبراطور البيزنطى جوستينيان الحرب مع فارس ، شرع فى إعادة تنظيم الإمبراطورية بادئاً بتغييرات جوهرية فى أرمينية البيزنطية . ففى عام ٥٣٦ ، أصدر مرسوماً بإلغاء إدارات أرمينية المتعددة وتوحيدها تحت قيادة قائد عسكرى واحد سُمى بـ «القائد العسكرى لأرمينية» ومقر قيادته فى ثيودوسيوبولس . وأدى إنشاء تحصينات جديدة للفصل بين بيزنطة وفارس إلى عزل أرمينية البيزنطية عن جارتها عملياً . وقام جوستنيان بتقسيم أرمينية البيزنطية إلى أربع وحدات إدارية . وفقد النخرار حكمهم الذاتى ، واتخذ البيزنطيون إجراءات قانونية لمحو الهوية الأرمنية وجعلها بيزنطية بأسرع ما يُمكن . وقد استمرت مخططات محو الهوية الأرمنية على امتداد القرن السادس الميلادى .

وتجدر الإشارة إلى أن بعض النبلاء قد تمردوا ، واغتالوا عدداً من المسئولين البيزنطيين ، وتحول بعض النخرار إلى فارس طلباً للمساعدة . ولاريب أن الملك الفارسى أنوشروان قد غضب من سياسة بيزنطة التوسعية على الحدود وتهريبها الحرير سراً . ولذا ، شجعت مطالب النخرار الأرمن فى المنطقة البيزنطية الفرس على بدء حرب جديدة عام ٥٤٠ واستمر أوارها حتى عام ٥٦٢ . وجدير بالتسجيل أن الأوضاع فى الأرمينيتين قد ساءت خلال الربع الأخير من القرن السادس . وتمرد الأرمن الفرس تحت قيادة ڤاردان الأحمر ماميكونيان الذى هرب مع عدد من النخرار الأرمن إلى بيزنطة ، وتجددت الحرب فى أرمينية البيزنطة. وهنا ، كان الإمبراطور البيزنطى موريس (٥٨٢ ـ ٦٠٢) أكثر نجاحاً فى محاربة الفرس حيث دبر سياسة حرق الأرض على الحدود مع فارس ، مما أسفر عن وجود أرض واسعة خالية من السكان على حساب الأرمينيتين .

وقد نتج عن هذا الصراع ، حصول بيزنطة على جزء كبير من أرمينية الفارسية . وحسب التقسيم الثانى ، تغيرت الحدود بين القطاعين من الركن الشمالى الشرقى لبحيرة ڤان أعلى نهر هرازدان إلى الركن الشمالى الغربى لبحيرة سيڤان . وبقيت دڤين فى المنطقة الفارسية، ولكن يريڤان وقعت فى الجانب البيزنطى . وسُميت المناطق الإضافية أرمينية الداخلية والدنيا والعميقة . علاوة على هذا ، نفذت الإدارتان البيزنطية والفارسية سياسة إخلاء أرمينية من السكان وإرسال النخرار إلى مناطق مختلفة للقتال فى أفريقيا أو البلقان أو آسيا الوسطى .

وقد شهد الربع الأول من القرن السابع الميلادى انقلابات فى المشهد العام بين فارس وبيزنطة . ففى عام

٦٠٢ ، اندلعت الحروب بينهما إثر مقتل موريس وأولاده على يدىّ فوكاس . ودخلت القوات الفارسية حتى ميل واحد من القسطنطينية . وبعد وفاة فوكاس وصعود هرقل فى عام ٦١٠ ، استمرت الحروب . وبحلول عام ٦٢٠ ، احتل الفرس أرمينية كلها والشرق الأدنى ومعظم آسيا الصغرى . ولكن بحلول عام ٦٢٨ ، انقلب الحال لصالح بيزنطة التى سيطرت على آسيا الصغرى والشرق الأدنى وأرمينية . ومنذ ذلك الوقت لم يعد الساسانيون فى موقع يُمكن أن يُهدد بيزنطة . ومن ثم ، بدأت تتدهور دولتهم عشية نهاية القرن السابع . وتجدر الإشارة إلى أن هرقل استوعب جيداً أهمية أرمينية الإستراتيچية فى مواجهة الغارات الآفارية والسلاڤية على حدود دولته الغربية . وقد أوجد منصب «أمير أرمينية» ، وقلّده لتيودور رشتونى الذى سيلعب دوراً مهماً فى التاريخ الأرمنى .

الثقافة والحضارة

رغم أن الحقبة الفارسية ـ البيزنطية قد اتسمت بالحروب والإبعاد وإعاقة التجارة لاسيما بالنسبة لأرمينية البيزنطية ، فمن المثير استمرار الأنشطة الفنية والعلمية والأدبية وازدهارها . وقد تجلى فن العمارة فى الكنائس المتعددة التى شُيدت فى تلك الفترة من أمثال كاتدرائيات القديس چون فى ماسترا والقديسة هريبسيميه والقديسة جايانيه وغيرهم . وقد أكد بعض مؤرخى العمارة أن الأرمن كانوا أول من أنشأ قبة حجرية فوق ملتقى أعمدة . وكانت أعمال النحت الرئيسية آنذاك عبارة عن بعض النحت البارز فى أماكن العبادة . وثمة أمثلة قليلة من اللوحات الزيتية ، ولعل أكثرها أهمية إنجيل مصوَّر يمزج بين الفن البيزنطى والساسانى فى أسلوب أرمنى فريد .

وقد كانت الأوضاع السياسية والاجتماعية ـ الاقتصادية فى أرمينية الفارسية مناسبة أكثر للنشاط الأدبى ، ولكن الجانب البيزنطى أسهم أيضاً بكثير من الأعمال الفلسفية والعلمية الإغريقية التى تُرجمت إلى الأرمنية . وأدت الأعمال الأدبية ولاسيما الأعمال الأرمنية الأصيلة فى التاريخ وعلم اللاهوت والفلسفة إلى إضفاء أهمية كبيرة على هذه الفترة حتى أن القرن الخامس الميلادى يُوصف بأنه «العصر الذهبى» للأدب الأرمنى .

وربما يُنسب أول عمل فى التاريخ الأرمنى إلى پاوستوس بوزاند الذى وصف أحداث القرن الرابع حتى تقسيم أرمينية فى عام ٣٨٧ . وكتب ديڤيد أنهاغت رسائل فلسفية أصيلة علاوة على تعليقات حول الأعمال الفلسفية الإغريقية . وكتب المؤرخ أجاثانجيلوس تاريخ تحول أرمينية إلى المسيحية . ودوّن يغيشيه معركة أڤاراير فى كتاب تاريخ ڤاردان . وجاء وصف تقسيم أرمينية وكفاح الشعب الأرمنى ضد الزرادشتية فى كتاب لازاروس پاربى . بيد أن أكثر الأعمال طموحاً وقتذاك كان عمل موسى الخورينى (موڤسيس خوريناتسى) الذى يبدأ تاريخه بأصول الشعب الأرمنى ويقف عند عام ٤٤٠ م . ورغم أغلاطه العديدة فى التأريخ والترتيب الزمنى ، فإنه يُعد ثروة معلوماتية حول المرحلة المبكرة من التاريخ الأرمنى .

وخلاصة القول ، قدّم الأدب الغزير وأنشطة الترجمة لتلك الفترة إسهاماً ضرورياً وأساسياً فى رفع الوعى القومى ، وفى الكفاح الأرمنى ضد الضغوط الثقافية والدينية لكل من فارس وبيزنطة . والأهم ، هيأ الأرمن لمواجهة تحديات أكثر أهمية لاسيما الغزوات العربية ووصول الإسلام على نحو ما سنعرض له خلال العدد القادم .

مؤتمـــــــرات

الثورة والدستور
فى التاريخ المصرى الحديث والمعاصر

إعداد : شيماء الشواربى

على مدار ثلاثة أيام ، ١٢ و ١٣ و ١٤ مارس ٢٠١٢ ، عقد مركز تاريخ مصر بدار الكتب والوثائق القومية مؤتمر «الثورة والدستور فى التاريخ المصرى الحديث والمعاصر» تحت رعاية أ . د شاكر عبد الحميد وزير الثقافة وأ . د . زين عبد الهادى رئيس مجلس إدارة دار الكتب والوثائق القومية وأ . د . محمد صبرى الدالى رئيس الإدارة المركزية للمراكز العلمية . شارك «٣٧» باحثاً وأكاديمياً وصحفياً فى فعاليات المؤتمر على مدار سبع جلسات علاوة على مائدة مستديرة . وقد دارت الخطوط العريضة للجلسات حول المحاور الآتية : حتمية الدستور بعد الثورة ، الثورات المصرية وآليات كتابة الدساتير ، جدلية الدستور والدين والمجتمع ، قضايا دستورية : التعديلات والقوانين الاستثنائية والمؤسسة العسكرية ، الدساتير المصرية وقضايا الحريات ، الدستور والنظام السياسى والاقتصادى ، ثورة ٢٥ يناير والحاجة إلى دستور جديد .

لاريب أن الثورات الحقيقية تُعد استثناءً فى تاريخ الشعوب ، ومن أهم ما ميّز الثورات فى التاريخ الحديث ارتباطها بكتابة الدساتير ، الأمر الذى نجده فى التاريخ المصرى منذ الثورة المصرية بقيادة أحمد عرابى ١٨٨١ - ١٨٨٢ مروراً بثورتىّ ١٩١٩ و ١٩٥٢ ووصولاً إلى ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ . ونظراً لأن جميع المشاركات والأطروحات كانت جادة وجيدة ، ولا يُمكن متابعتها عبر هذه المساحة المحدودة ، فإننا قد آثرنا الوقوف عند بعض المحطات الفارقة فى التجربة الدستورية المصرية .

فيما يتعلق بالثورة العرابية والدستور (١٨٧٩ - ١٨٨٢) ، ذكرت أ . د . لطيفة محمد سالم بآداب بنها أنه قد تزامن معرفة الطريق للدستور مع حكم الخديو إسماعيل ، وذلك عندما تأسس مجلس شورى النواب عام ١٨٦٦ الذى برز نشاطه بشكل ملحوظ عام ١٨٧٩ ، ذلك العام الذى وضع الأساس للدستور ، حيث تبلورت الأفكار من خلال عدة آليات ، منها الدور الفعَّال الذى قام به المثقفون سواء أكانوا مدنيين أم عسكريين بواسطة الكلمة المكتوبة فى الصحافة ، والكلمة المسموعة من الخطابة ، ولقاءات الجمعيات التى نتج عن إحداهما ما ُعرف باسم «اللائحة الوطنية» التى عبَّرت عن الرغبة الملحة فى حكومة دستورية ، وكيفية معالجة التدخل الأجنبى ، وباركها الخديو ، وكلَّف شريف باشا بالنظارة ، فقدَّم دستور ١٩ أبريل ١٨٧٩ للمجلس النيابى كسلطة تأسيسية ، وتم اختيار اللجنة الدستورية ، ولكن وقفت له بريطانيا وفرنسا بالمرصاد ، وعن طريقهما عُزل إسماعيل ، وسرعان ما

انحاز توفيق للجانب المعادى للدستور ، ومن ثم كان التراجع فى وقت مضت فيه الحركة الوطنية تُمارس نشاطها ، وتجمَّعت الأسباب التى أدت إلى قيام الثورة العرابية ، وهى تُعد أول ثورة دستورية فى المنطقة .

وجاءت نظارة الثورة الأولى ، وتقلَّدها شريف الذى واصل استكمال خطوات الدستور ، واجتمع مجلس النواب الجديد ، وتبلور الرأى العام ، وأصبح الجميع يتحدثون عن الدستور والحقوق والواجبات ونوع الحكومات . ولكن على جانب آخر بدا النفور واضحاً بين رئيس النظار والعسكريين ، وكان لكلٍ مفهومه الخاص بالدستور . وبعد إعداد شريف دستورٍ ٢ يناير ١٨٨٢ الذى ضمَّ مبادئ مهمة وحدَّد مهام مجلس النواب ، ظلَّت العقبة التى كانت تُواجه كل دستور ، ألا وهى مسألة الميزانية ، إذ أصرَّ نواب هذا المجلس على ضرورة عرضها عليه ونظرها وإقرارها ، بينما رأى شريف أن يكون منح الحرية للمجلس فى ذلك الشأن تدريجياً ، حيث الالتزامات المالية وسلطة المراقبين الإنجليزى والفرنسى . ولكن تمسك المجلس برؤيته ، وشجّعته الصحافة والسلطة العسكرية ، وتحرك التحالف الأنجلوفرنسى سياسياً بمذكرة ٨ يناير ، وعسكرياً بإرسال قطع من أسطوله للإسكندرية ، والإعلان عن الرفض القطعى لإعطاء حق النظر فى الميزانية للمجلس .

فى ذلك الوقت ، كانت لجنة النواب الدستورية قد درست دستور شريف وحذفت وأضافت ، ورفض شريف الموافقة على تعديلات النواب فلجأ بعضهم للخديو وطالب بإسقاط النظارة . وكان للنواب ما أرادوا واختاروا البارودى ناظر الجهادية لتشكيل نظارة الثورة الثانية التى أصدرت دستور ٧ فبراير ١٨٨٢ الذى اعتمد على الدستور السابق بعد تعديلات النواب ، وحدَّد العلاقة بين السلطتين التشريعية والتنفيذية على هدى المبادئ النيابية الحديثة ، وإن لم يكن يتمتع بكامل حريته ، إذ فرضت بعض القيود نفسها عليه ، ولكنه بصفة عامة حمل الإيجابيات .

وبطبيعة الحال ، كان لابد من إسقاط ليس فقط الدستور ، وإنما أيضاً وأد الثورة بأكملها ، حيث تكالبت الأحداث فى شهور قليلة ، واحتلت بريطانيا مصر فى ١٥ سبتمبر ١٨٨٢ . ولكن تبقى مرحلة الثورة العرابية فى تكوينها وأحداثها ونتائجها فى سجلات التاريخ ، لتشهد كيف جاهدت وكافحت مصر من أجل قضية الدستور التى هى قضية قديمة جديدة .

وفيما يخص دستور ١٩٢٣ الناجم عن ثورة ١٩١٩ ، فقد دارت ورقة أ . د حماده إسماعيل بآداب بنها حول «انتفاضة ١٩٣٥ واستعادة دستور ١٩٢٣» . وفى هذه الورقة قال عميد آداب بنها السابق ، ما إن صدر دستور ١٩٢٣ فى أبريل من نفس العام ، حتى تصدت له القوى المضادة متمثلة فى السراى والإنجليز والقوى الرجعية فى الداخل ، وهو ما شكّل حالة زخم فى الحياة السياسية المصرية يُمكن إجمالها فيما يلى :

إن وزارة سعد زغلول الأولى (يناير ـ نوفمبر ١٩٢٤) والتى جاءت إلى الحكم بعد أول انتخابات أجريت فى ظل دستور ١٩٢٣ تربص بها الإنجليز الدوائر ، وجاء اغتيال السير لى ستاك (سردار الجيش المصرى) للإجهاز على الوزارة المذكورة والتى له لم يكن الإنجليز راضين عنها ، وهو ما شكل أول اعتداء على الدستور .

فى عام ١٩٢٥ أجريت انتخابات جديدة فاز فيها الوفد مرة أخرى رغم أنف السراى ومحاولات تزوير الانتخابات ، غير أن القوى المضادة تربصت ثانية بالوفد ، فبعد إجراء انتخابات رئيس مجلس النواب الجديد ووكيله وفاز فيها سعد زغلول برئاسة المجلس على عبد الخالق ثروت مرشح القصر ، وفاز أيضاً الوكيلان على مرشحى السراى من الحكومة ، لم يكن

أمام القصر إلا الموافقة على مقترح حكومة زيوار بحل البرلمان ، وتم حله يوم انعقاده .

وللمرة الثالثة تُجرى انتخابات جديدة فى عام ١٩٢٦ وفاز فيها الوفد أيضاً ، ورغم ذلك قبل الوفد الدخول فى وزارتين ائتلافيتين فى الفترة من ٧ يونية إلى ١٦ مارس ١٩٢٨ ثم شكّل حزب الوفد وزارة النحاس الأولى (١٦ مارس ـ ٢٥ يونية ١٩٢٨) . غير أن القوى المضادة للدستور والحياة النيابية أطلّت برأسها ثانية ، فأخرج الوفد من الحكم لتحل محل وزارته ، وزارة القبضة الحديدية برئاسة محمد محمود (٢٥ يونية ١٩٢٨ ـ ٢ أكتوبر ١٩٢٩) ، فكان أهم أعمال وزارة اليد الحديدية تعليق الحياة النيابية ثلاث سنوات قابلة للتجديد ، وجاءت نهايتها عندما تخلى السراى والإنجليز عنها لتحل محلها وزارة عدلى يكن (٣ أكتوبر ١٩٢٩ ـ أول يناير ١٩٣٠) وخلالها عطلت دستور ١٩٢٣ واستبدلته بدستور جديد هو دستور ١٩٣٠ الذى أعطى للملك سلطات أكبر وأوسع مما كانت له فى دستور ١٩٢٣ وأجرت وزارة صدقى الأولى الانتخابات فى ظل الدستور الجديد ليُشكل ذلك الإجراء قمة الاعتداء على دستور ١٩٢٣ والحياة النيابية برمتها .

وبعد أن حقق القصر والإنجليز مآربهما فى وزارتىّ صدقى ، وجدا أن على صدقى أن يرحل ، فقبل القصر استقالة الوزارة لتحل محلها وزارة عبد الفتاح يحيى الأولى (١٤ سبتمبر ١٩٣٣ ـ نوفمبر ١٩٣٤) والتى تُعتبر امتداداً لعهد صدقى ، وهو ما جعلها لا تُعمِّر طويلاً ، فقد جرت مياه كثيرة تحت الجسور تمثلت فى استمرار الوفد فى موقفه المعادى للوزارة وتلبد الجو العالمى وظهور نذر حرب كبرى ، وهو ما أزعج الإنجليز ، فخرجت الوزارة من الحكم لتحل محلها وزارة توفيق نسيم الثالثة (١٤ نوفمبر ١٩٣٤ إلى ١٩٣٦) فكان أول أعمالها إلغاء دستور ١٩٣٠ وحل مجلس النواب والشيوخ القائمين على أساسه ، وأمام تردد الوزارة فى إعادة دستور ١٩٢٣ جاءت انتفاضة ١٩٣٥ لتُجبرها على إعادة دستور ١٩٢٣ ، وليسترد الشعب دستوره المسلوب وأعقب وزارة نسيم ، وزارة على ماهر الأولى (٣٠ يناير ـ ٩ مايو ١٩٣٦) التى كان من أهم أعمالها إجراء الانتخابات التى اكتسحها حزب الوفد وشكل فى أعقابها وزارة النحاس الثالثة (٩ مايو ١٩٣٦ ـ ٣١ يولية ١٩٣٧) لتدخل مصر مرحلة جديدة من تاريخها .

وعن جدلية الدين والدستور بين الثابت والمتغير ، جاءت أطروحة أ. د. عاصم الدسوقى بآداب حلوان . وحسب هذه الأطروحة ، أشار أن فكرة الدستور قد نشأت فى منتصف القرن الثامن عشر فى فرنسا مع تطلع البورچوازية (أصحاب رأس المال التجارى الصناعى) للمشاركة فى الحكم فى مواجهة حكم ملوك الإقطاع الذين يتوارثون الحكم استناداً إلى دعم الكنيسة وهيمنتها. وقد ساند البورچوازية فى تطلعها وعبّر عن آمالها چان چاك روسو عندما كتب كتابه «العقد الاجتماعى» الذى ينفى فيه سلطة الملك المطلقة ووجوب أن يقوم الحكم على عقد بين الحاكم والمحكومين يُحدد واجبات وحقوق الطرفين ، وكتب شارل مونتسكيو كتابه «روح القوانين» وكيف أن القوانين وضعية تقوم على تقنين ما يتعارف عليه الناس لتحقيق التوازن بين الطبقات ، وتتغير تبعاً لتغير الأعراف بينهم دون أن تستند إلى مرجعية دينية . وقامت الثورة فى فرنسا فى عام ١٧٨٩ وتم وضع الدستور فى عام ١٧٩١ ، ومن فرنسا انتقلت فكرة الدستور إلى مختلف ممالك أوربا حماية لها من الثورة ومن المصير الذى انتهت إليه الملكية فى فرنسا .

وفى مصر بدأ الحديث عن الدستور بهذا المعنى مع العائدين من البعثات التى بدأها محمد على باشا والتى كان أشهرها بعثة عام ١٨٢٦ بإمامة رفاعة الطهطاوى ،

وإتصال المثقفين المصريين بالثقافة الأوربية منذ ذلك التاريخ وحتى إنشاء الجامعة الأهلية فى عام ١٩٠٨ وما بعدها .

وقبل أن تنشأ الدولة فى التاريخ على أساس الوطن الذى يضم كل من يُقيم على أرضه ويتوصل الناس فيه إلى صيغة الدستور ، كانت «القبيلة» هى الوطن الذى يجمع أبناءها على أساس رابطة الدم والمعيشة المشتركة . وعندما نزلت الأديان على أوطان القبائل آمن بها من آمن ، وصبأ من صبأ دون حساسية أو عقاب من أولى الأمر فيها .

ولم تخرج مصر فى تاريخها عن هذا التطور شأن بلاد الدنيا ، فقد تعددت فيها الأديان ، وظلت التقاليد والأعراف هى المرجعية السائدة دون تمييز طائفى بشهادة المراقبين الأجانب . ولكن ومع الاحتلال البريطانى لمصر (١٨٨٢) بدأ الإنجليز يُمارسون لعبة الطائفية التى مارسوها فى الهند وأدت أغراضها فى الصراع الطائفى فأخذت الفرقة تدب فى الصفوف ، وأخذ الانتماء إلى الوطن يتهاوى ويعلو عليه الانتماء إلى العقيدة .

وعندما حان الوقت لوضع دستور فى أعقاب ثورة ١٩١٩ اقترح الشيخ محمد بخيت مفتى الديار المصرية وعضو لجنة وضع الدستور أن يتضمن الدستور مادة تنص على أن الإسلام دين الدولة . ولم يستطع أعضاء اللجنة معارضته ، لكنهم وضعوها فى آخر مواد الدستور (رقم ١٤٩ ـ الباب السادس «أحكام عامة» وإجمالى المواد ١٧٠ مادة) . ومع ذلك وعلى أساس هذه المادة بدأت الدعوة لإقامة الدولة الإسلامية منذ الثلاثينيات فكان تيار «الأمة القبطية» فى الأربعينيات . ومع حكم الرئيس السادات وفى إطار مناورات سياسية تم النص فى دستور ١٩٧١ على أن الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسى للتشريع (المادة الثانية) ، الأمر الذى شدّ من أزر الإسلاميين ، فاستدعوا من التاريخ شعار «القرآن دستورنا» ، وتعديله إلى «الإسلام هو الحل» .

وبعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ وفى منعطف الاتجاه لوضع دستور جديد ، أعلن الإسلاميون أن المادة الثانية من الدستور خط أحمر ، ورموا الذين يُنادون بالعلمانية بالكفر والإلحاد مع أن العلمانية قريبة من الحكمة الإسلامية «أنتم أدرى بشئون دنياكم» ، وهذا ما تُطبقه دول الغرب «المسيحى» حيث تترك الكنائس والمعابد لمريديها ، ولا يمنعون المسلمين بينهم من بناء المساجد ، ولا يتدخل الدين فى السياسة ، وآية ذلك أن الدول الأوربية التى تنص دساتيرها على أن المسيحية هى ديانتها الرسمية لا تنص على أن المسيحية مصدر التشريعات القانونية فيها .

إن الدستور الذى يُوضع على أساس أية شبهة طائفية دينية من أى نوع وبأية درجة من شأنه «طوأفة» المصريين ليس فقط بين مسلمين ومسيحيين ، وإنما سوف تدخل على المشهد «طوائف أخرى» يُرتب لها فى دوائر المركز العالمى ، وإلا كيف تُفسَّر مطالبة «البهائيين» بحقوق التمييز المذهبى ، وكثرة الحديث عن «الشيعة المصريين» ، وحقوق النوبيين «القومية» ، ومحاولة إنشاء حزب جديد بإسم «مصر الأم» يدعو إلى استعادة لغة الفراعنة القدامى وثقافتهم بديلاً عن الثقافة القائمة . فهل يكون الدستور أداة للرقى الاجتماعى والسياسى أم يُصبح مبرراً للانحيازات الطائفية . . . ؟

أما قضية «المتغيرات المجتمعية وقراءة الوثائق الدستورية» ، فقد رصدها أ. د. على ليلة بحقوق القاهرة من خلال الحالة المصرية . وفيما يلى خلاصة رؤيته فى هذا الصدد : تُشكل الدساتير الأطر الشرعية والقانونية ذات الطبيعة الإستراتيجية لتنظيم التفاعل الاجتماعى بالمعنى الشامل فى مختلف المجالات الاجتماعية ، وهى وثائق من طبيعتها أنها ثابتة ، وهو

الثبات الذى يُعتبر مدخلاً لتحقيق الاستقرار الاجتماعى. وفى الغالب تتأثر صياغة الوثائق الدستورية بجملة من المتغيرات التى ينبغى مراعاتها ، لأنها تعكس لزوميات مجتمعية . وهى ذات المتغيرات التى ينبغى مراعاتها لتوفير فهم عميق لمضامين الدستور، ونذكر فيما يلى نماذج لبعض من هذه المتغيرات :

١ ـ إن صياغة بعض مكونات الوثائق الدستورية قد يكون استجابة لبعض القضايا المثارة على الصعيد العالمى، كتأكيد على مفاهيم الديمقراطية ، وحقوق الإنسان ، وحقوق الأقليات وحقوق المرأة . حيث يُراعى فى صيغة الدساتير أن تكون متسقة مع الثقافة العالمية والإعلانات المستندة إليها ، خاصة إذا كانت هذه الإعلانات واجبة .

٢ ـ إن صياغة الدساتير تعكس فى العادة الجوانب المعنوية للمجتمع ، وهى هنا ثقافة المجتمع من ناحية ، وأيديولوچياً النظام السياسى من ناحية ثانية ، بحيث تُشكل هذه الجوانب مرجعية لصياغة مواد الدستور ، وبالتالى ينبغى أن تُلاحق الدساتير التغيرات التى تقع فى نسق معانى المجتمع وأيديولوچياً النظام السياسى . وإلا تخلف الدستور عن مواكبة حركة المجتمع ، وذلك من شأنه أن يطرح للمناقشة الطبيعة الجوهرية للدستور : هل هى الطبيعة المستقرة أم الدينامية ؟ .

٣ ـ قد تعمل الدساتير على تقنين أوضاع جديدة فى المجتمع ، حيث يُلاحظ ذلك فى الوثائق الأولى للدساتير المصرية ابتداءً من دستور ١٨٨٢ ، حيث بداية نقل نموذج الدولة الحديثة من أوربا إلى مصر ، فى هذا الإطار كان من الطبيعى أن تعمل وثيقة الدستور على تقنين أوضاع جديدة على المجتمع كتأسيس الأحزاب والمؤسسات التشريعية ومسألة «النظار» أو الوزراء، ورقابة البيروقراطية الحكومية الحديثة النشأة .

٤ ـ إن الدساتير قد تعمل على تقنين بعض التغيرات الاجتماعية التى استُجدت على المجتمع ـ ويحدث ذلك عادة فى أعقاب الثورات التى تُؤسس تغيرات راديكالية وأوضاعاً جديدة فى بناء المجتمع ـ مثال على ذلك النصوص التى أكد عليها دستور ثورة ١٩٥٢ ، حول الانتماء القومى لمصر ، أو طبيعة الأيديولوچية الاشتراكية التى تقود عملية التنمية والتحديث ، أو التأكيد على توسيع المشاركة الفعالة للعمال والفلاحين، أو تحديد القطاعات والفئات التى تقود عملية التنمية والتحديث ، وكذلك ما هى الفئات الأولى بثمار التنمية والتحديث .

٥ ـ إن صياغة الدساتير قد تأخذ فى اعتبارها النموذج المستقبلى والمثالى الذى ينبغى أن يتحرك نحوه المجتمع كالتأكيد على مفهوم المواطنة فى مجتمع يُعانى من العلاقات السلبية بين الجماعات الإثنية ، أو التأكيد على مكانة المرأة وأهمية إسهامها فى مجتمع تُحاصر الثقافة التقليدية المرأة وتفرض عليها قهراً ، أو التأكيد على حقوق وأهمية المشاركة فى مجتمع يُعانى من ثقافة أو نزعة انسحابية .

٦ ـ قد تتم بعض صياغات المواد الدستورية إشباعاً لرغبة الحاكم وهواه ، ويحدث ذلك عادة فى فترات الانهيار الاجتماعى وعدم توازن بناء القوى السياسية وتركزه ، حيث نجد أن هذه الصياغات أو التعديلات لا تُعبر عن رغبة مجتمع ، كما هى الحال فى التعديلات الدستورية التى تمت فى العقد الأول من الألفية الثالثة لتيسير تمرير توريث السلطة من الرئيس مبارك لنجله .

هذا ، وقد تمخضت فعاليات المؤتمر عن التوصيات التالية :

١ ـ من الضرورى عدم تضمن الدستور أية مواد قد تُؤدى إلى استبداد الحكام فى المستقبل ، أو تُسئ إلى مُثل الحرية والديمقراطية . وتُحدد سلطات الرئيس

فى إطار أن يكون حكماً بين السلطات ، وبما يكفل الحرية الكاملة لسلطات الحكومة والقضاء والبرلمان .

٢ ـ حرية العقيدة لابد أن تتوفر فى الدستور الجديد .

٣ ـ ضرورة الاستفادة من بعض المواد فى الدساتير المصرية السابقة بداية من دستور الثورة العرابية ، وخاصة مشروع دستور سنة ١٩٥٤ ، مع الوعى العميق بالتجارب العالمية ، للاستفادة منها . ويُمكن أن يُستعان ببعض المتخصصين فى التاريخ والتاريخ الدستورى فى هذا الشأن .

٤ ـ إعادة النظر فى قوانين الأحكام العرفية والطوارئ وجميع القوانين الاستثنائية بحيث يثبت لها ما يُبررها وتُحدد لها فترات محددة وقصيرة ، بحيث تُلغى فور انتهاء الحالة .

٥ ـ ضرورة تمثيل كل أطياف المجتمع فى لجان صياغة الدستور حتى يأتى الدستور محققاً للسلامة الوطنية ومعبراً عن كل أطياف المجتمع ، من خلال ممثليهم أو المعبرين عنهم من النخبة .

٦ ـ لا يجب أن يأتى الدستور خادماً لفئة أو طبقة بعينها على حساب فئة أو طبقة أخرى ، وإنما يجب أن يأتى ملبياً لمصالح واحتياجات كل الطبقات فى إطار الحقوق والواجبات .

٧ ـ لا يجب أن يُسيطر على لجنة كتابة الدستور أصحاب ثروة أو أصحاب اتجاهات دينية بعينها مهما كانت نسبة تمثيلهم الحالية فى البرلمان .

٨ ـ ضرورة خلو الدستور الجديد من التناقضات التى قد تُؤثر فى مستقبله وتستدعى الكثير من التعديلات عليه ، ومن ثم لابد من التأكيد على ضبط وتدقيق صياغة الدستور حتى لا يتضمن أية كلمات أو عبارات أو فقرات حمالة أوجه أو تحتمل التأويل بسهولة لخدمة البعض فى حالات وظروف بعينها .

٩ ـ ضرورة إعطاء الوقت الكافى لمناقشة كل مادة من مواد الدستور بدون عجلة حتى لا يأتى الدستور فضفاضاً ولا متناقضاً فى بعض مصطلحاته أو عباراته .

١٠ ـ يتحدد وضع المؤسسة العسكرية فى الدستور بما لا يتجاوز المهمة العسكرية والوطنية المنوطة بها . وبما لا يجور على الدولة المدنية فى مصر .

١١ ـ التأكيد على حرية الرأى والفكر والإبداع فى كل المجالات ، دون وضع قيود على ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر ، اللهم إلا فيما يتصل باحترام الأديان وحماية الوحدة الوطنية ، مع استبدال عقوبات السجن وغيرها بعقوبات مالية فى هذا المجال ، إذا اقتضى الأمر .

١٢ ـ النظام السياسى يجب أن يقوم على المواطنة ودولة القانون ، ولا يسمح للحاكم بتغيير الدستور بسهولة فى المستقبل ، بل وفقاً لنظام مؤسسى .

١٣ ـ لابد أن يتضمن الدستور الجديد إفريقية مصر بمثل ما يتضمن إسلاميتها وعروبتها ، كما أنه لابد أن يتضمن حصانة معينة لنهر النيل .

١٤ ـ الدستور الجديد يجب أن يعكس طموح المصريين فى الحصول على الحرية السياسية والعدالة الاجتماعية والتقدم الاقتصادى ، لا أن يعكس طموحاً فى اتجاه واحد فقط .

١٥ ـ طباعة أعمال المؤتمر فى كتاب حتى يُصبح متاحاً أمام القائمين على صياغة الدستور ، وأمام الرأى العام .

ضريبة اللباقة
بابيك أغا ـ طوروس أفندى

ترجمة : د . نورا أريسيان
تأليف : هاجوب بارونيان

صدر عن دارأطلس بدمشق الترجمة العربية لكتاب «ضريبة اللباقة» ؛ تأليف هاجوب بارونيان (١٨٤٣ ـ ١٨٩١) وترجمة الباحثة الأرمنية السورية د . نورا أريسيان . ويُعد المؤلف من رواد الأدب والمسرح الساخر الأرمنى . ومن أبرز أعماله : المتسولون الشرفاء ، نزهة فى أحياء الأستانة ، دفتر الأبله ، طبيب الأسنان الشرقى ، خادم ومعلمان ، المتملق ، الأخ بغداسار . وقد كتب «ضريبة اللباقة» فى عام ١٨٨٦ بالأستانة ، وهى عبارة عن قصص مسرحية ساخرة ، شخصياتها ضحايا الغش ، وهم محكومون بالقواعد الزائفة للأدب واللباقة . ويُسعد «أريك» أن تُقدم على صفحاتها بعضاً من إبداعيات بارونيان الساخرة .

أ ـ بابيك أغا

هناك شىء ما يقسرنا يختبئ تحت تسمية جميلة ، يحكم علينا بالعبودية حتى فى الخصوصيات التى تمنحنا إياها إرادتنا ولا تتعارض معها القوانين .

هذا الذى يقسرنا يتعارض حتى مع الطبيعة ولا يسمح لها أن تُؤدى عملها على مخلوق الإنسان بشكل طليق ومريح . هذا الذى يقسرنا هو اللباقة . ومن يُعارضه يُسمى ظلماً غير لبق وقليل أدب .

فاللباقة أمر لا يُطاق وخاصة لمن يتبع قوانين الطبيعة ويُحبها ويحصل بذلك على السعادة . ولتفسير كيف يتعذب هؤلاء المساكين ويُظلمون ، وجدنا من المفيد تقديم بعض الأمثلة .

ترغب فى حضور احتفالية يُحتفى فيها بإسم أحد أصدقائك . فبعد أن تتعشى تنطلق إلى منزل صديقك حيث تجد استقبالاً حاراً وبعد الجلوس ساعة من الزمن تقريباً تبدأ عيناك بالانسدال وتود لو تتمدد على الأريكة ، فتمنعك قواعد اللباقة . ولأنك تعشيت بشهية ، تشعر بأنك بحاجة إلى أن ترخى أو تفك زنارك قليلاً ، وهذا الشعور أمام المدعوين يُخالف اللباقة . يتثاقل النعاس على أهدابك . ملعون النعاس الذى يُداعبك بين الجمع ، إنه غير لبق . عليك أن تطرده . الطبيعة تقول لك : نم ، واللباقة تصرخ : لا تنم .

جرّب أن تنام قليلاً . فينتصب صاحب البيت على رأسك ويصرخ مخاطباً الخدم :

ـ انظروا إلىَّ ، أحضروا قليلاً من الماء لـ «بابيك أغا» .

ـ لا ، لا ، لا أريد ماء .

ـ لماذا تغفو بابيك أغا ؟

ـ أعذرنى ، نعستُ وأنا جالس .

ـ ألم نرق لك ؟

ـ أعوذ بالله .

ـ فى بيوت الآخرين تسهر حتى الصباح ، أما فى بيتنا تنعس على الفور .

ـ أكلتُ كثيراً فى هذه الليلة ، لهذا السبب . .

فتقول صاحبة البيت :

ـ لا هذا ولا ذاك . . فى بيتنا لا توجد تسلية ، لهذا . .

ـ أرجوكِ ، لا تتحدثى كذلك .

ـ لو كنتَ فى بيت غيرنا لكنت تسليت وسررت .

أمر صاحب البيت :

ـ أحضروا سيجارة لبابيك أغا .

أمرت صاحبة البيت :

ـ قشروا تفاحة لبابيك أغا .

ـ شكراً .

ـ أحضروا قهوة .

ـ أحضروا شاى .

ـ قم ، تمشى قليلاً ، بابيك أغا ، كى يختفى النعاس .

صرخ أحدهم من الجانب :

ـ تعال لنلعب الورق لكى لا تنام .

ـ شكراً ، استمتعوا أنتم بوقتكم .

ـ هذا لا يصح ، سوف ألعب معكَ دق ورق .

لا يستطيع بابيك آغا المقاومة ، ويبدأ بلعب الورق . ولكن ، وبعد ثلاثة أرباع اللعبة ها هو النعاس يُداهمه من جديد .

ـ لا تنم بابيك أغا .

ـ لستُ نائماً .

ـ أنت تنام ، بابيك أغا .

ـ لستُ نائماً .

ـ إذا أردتَ ، أرقص رقصة (البولكا) لكى يختفى نعاسك .

ـ أنا لا أعرف البولكا .

ـ تتعلمها .

ـ اسمحوا لى ، محبة بالله ، أن أذهب إلى الغرفة المجاورة وأنام قليلاً .

ـ مستحيل ، وهل ينام المرء فى الحفلة .

يُرغمون بابيك أغا على الرقص ، وهو يُردد فى نفسه تلك الكلمات التى يُرغمنا الغضب على لفظها فى ظروف مشابهة .

تنتهى الرقصة ، ويختفى نعاس بابيك أغا .

وبعد ساعة أو ساعتين يقف المدعوون ويتأهبون للانصراف . ويعود بابيك أغا إلى منزله . يدخل السرير ، لا يستطيع النوم ، نعاسه مختف بلا عودة . يخرج من السرير ، يقرأ قليلاً لكى يأتى نعاسه لكنه لا يأتى . يأخذ كتاباً مملاً ، فالنوم غير ممكن حتى لو قرأ كتاب «حياة اليوم» . وهكذا ، يتقلب بابيك أغا فى السرير حتى الصباح ، وينام عندما يستيقظ الجميع ويذهبون إلى العمل .

وإليكم نتيجة اللباقة :

ـ ما كان عليه أن يذهب ، أفندينا ، فليبق فى بيته أفضل من أن يزعجنا .

وهل المرء حر أكثر فى بيته ؟

لنجرب .

تعود فى المساء إلى بيتك ، تخلع ملابسك ، تلبس ثياب النوم ، تنكمش فى زاوية غرفتك وتجلس . يمر

بعض الوقت ، وتُمد طاولة الطعام . تأخذ زوجتك ووالدك ووالدتك وأولادك وأخوتك وأخواتك وتنزل إلى غرفة الطعام فى الأسفل للعشاء . تنتهى من الطعام وتشرب قهوتك وتتمدد على أريكتك .

ـ تك . . تك . .

ـ واه . . ماذا . . ضيوف ؟

ـ تك . . تك . .

ـ من سيستمع إليهم ، قولوا لهم إنى لستُ هنا .

ـ لا يصح ، لقد رأوك من النافذة .

ـ تك . . تك . .

ـ خذوهم إلى الغرفة فى الطابق الأعلى وقولوا إن بابيك أغا مريض اليوم .

ـ تك . . تك . .

يُفتح الباب .

ـ اصعدوا إلى أعلى ، أصعدوا إلى أعلى .

فيصعد الضيوف . ويتأكد بابيك أغا أن المصيبة قد مرت . وما تكاد تمر نصف ساعة أو لا تمر ، يفتح باب بابيك أغا ويدخل أحد الضيوف إلى الداخل :

ـ بابيك أغا . .

ـ . .

ـ بابيك أغا . .

ـ . .

ـ إنه نائم .

لكن بابيك أغا صاحٍ .

ـ فلنوقظه .

يدفع وينعر بابيك أغا وهو يقول :

ـ بابيبك أغا ، بابيك أغا .

ينفذ صبر بابيك أغا ويستيقظ .

ـ هذا أنت مسيو بول ؟

ـ هذا أنا . . سلامتك .

ـ شكراً .

ـ زوجتك قالت إنك مريض .

ـ نعم ، أنا مريض جداً .

ـ هل رأسك تُؤلمك ؟

ـ نعم .

ـ قلت لنفسى ، لأذهب وأطل على بابيك أغا ، كى لا تقول فيما بعد إننى أتيت إلى بيتك ولم أشأ زيارتك .

ـ أشكرك . فعلاً لا أدرى . آخ ، لا أستطيع رفع رأسى . أرجوك . . اصعد إلى أعلى ، لا تقلق بشأنى ، سوف يزول الألم إن نمتُ قليلاً .

ـ لا يا أفندينا ، لا ، لن يزول بالنوم . ضع قليلاً من الخردل فى أنفك . أحضروا الخردل .

ـ لا أريد يا صديقى .

ـ أنت لا تعرف ، أحضروا الخردل .

يحضرون الخردل ، ويدهنها مسيو بول .

ـ أحضروا أيضاً قليلاً من الليمون .

ـ اترك يا عينى .

ـ أخضروا قليلاً من الليمون ، لا تأخذوا بكلام المريض .

يحضرون الليمون ويربطونه على جبينه .

ـ أحضروا قليلاً من الروم .

ـ ماذا ستفعل بالروم .

ـ أحضروا القليل ، أسرعوا .

ـ اتركنى ، يا عينى ، يا قلبى ، اتركنى ، أوف . .

ـ أسرعوا ، أحضروا الروم .

يحضرون الروم . يفرك مسيو بول رأس بابيك أغا بالروم .

ـ هل خف الألم قليلاً .

ـ لا .

ـ أحضروا العرق ، أسرعوا . .

ـ لا أريد ، مسيو بول ، يا قلبى . .

ـ العرق . . سخنوه على النار .

ـ سخناه .

ـ بابيك أغا ، اسحب البخار من أنفك .

ـ سحبته .

ـ هل خف الألم قليلاً .

ـ لا .

ـ سخنوا الماء ، وضعوا قدميه فيه . .

ـ لا يا عينى .

ـ سخنوا الماء ، وضعوا رأسه فيه . .

ـ اختفى الألم ، مسيو بول ، اختفى .

ـ وماذا سيفعل غير أن يختفى . . أنا يُسمونى مسيو بول . .

ـ انتظرنى كى أضع ثيابى وأصعد معك إلى أعلى .

ـ حسناً فعلتُ أنا وأتيت .

ـ أشكرك .

ـ لو لم أحضر ، لكنتَ تألمتَ حتى الصباح .

ـ نعم .

ـ وكنت ستقول إن مسيو بول لم يزرنى .

ـ نعم .

ـ أسرع ، إلبس بسرعة .

ـ ها أنا أفعل .

يضع بابيك أغا ثيابه ويصعد .

ـ أو . . بابيك أغا ، سلامتك .

ـ سلامتك ، بابيك أغا .

ـ كيف حالك بابيك أغا .

ـ شكراً .

ـ أزعجناك هذا المساء .

ـ بالعكس ، اختفى وجع رأسى .

ـ تكلم إذاً بابيك أغا .

وبدأ بابيك أغا يتحدث رغماً عنه .

وظل الضيوف جالسين بقدر ما يستطيعون إبعاد النعاس عن بابيك أغا ثم غادروا .

فارق بابيك أغا نعاسه وبقى ساهراً حتى الصباح وهو يلعن ضيوفه .

ماذا عساه أن يفعل هذا الإنسان ؟

كيف سيتصرف ضحية اللباقة هذا فى حياته ؟

لنتابع .

بابيك أغا لديه عمل ضرورى يجب أن يقوم به ، فيضطر أن يركض إلى عمله من جهة وأن يأكل الخبز والجبن على الطريق من جهة أخرى . اللباقة تحرم الجوع على الطريق . يرغب هو الدخول إلى محل صديق له ليأكل الخبز والجبن هناك . تصرخ اللباقة دائماً أن محل الصديق ليس مطعماً . كان بابيك أغا قد وعد للقاء أحدهم .

تقول اللباقة :

ـ فليذهب إلى مكان موعده جائعاً .

ويرضخ بابيك أغا .

وفى ذلك اليوم ، يمضى نهاره جائعاً ويعود إلى البيت واهناً بعض الشىء . وأمام هذه التوبة بماذا سُتكافئ الإنسانية بابيك أغا الذى قضى يومه صائماً كى لا يرتكب خطيئة ضد اللباقة ؟ لا شىء .

ومن علم بتضحية بابيك أغا ؟ لا أحد . ولكن ، لا قدر الله ، لو مشى فى الطريق وهو يأكل ، لكانت ُسمعت الكثير من الأقاويل . . .

ـ هل علمتم ما فعله بابيك أغا ؟

ـ يا أخى ، وهل يليق هذا بالتاجر ؟

ـ لقد خسر مكانته . . يا حرام . . كانت سمعته ُتعادل ٢٠٠٠٠ ليرة ذهب .

ـ لو صبر قليلاً . . وهل كان سنيفجر . . ؟!

* * *

ب ـ طوروس أفندى

يخرج طوروس أغا من البيت مثقلاً بالتعليمات التى ُتلقنها الزوجة للزوج ، كما جرت العادة ، والتى ُتنفذ فقط عن طريق المال . لا يملك طوروس آغا المال ولكنه يرغب بتنفيذ طلبات زوجته . ليس من الصعب التكهن بحالة طوروس آغا . قبل التوجه إلى السوق ، يذهب كعادته إلى المقهى لشرب قهوته الصباحية . كان فى المقهى آخرون يتحدثون عن مواضيع مختلفة . ُيشعل سيجارة ويطلب قهوته .

يصرخ رجل جالس فى إحدى زوايا المقهى :

ـ آه . . طوروس أغا ، تعال بقربى ، تعالى لنر .

تأمل طوروس أغا قليلاً ، فقد كان بحاجة ليجلس على الأقل ساعة من الزمن وحده ، لذلك تلكأ قليلاً لقبول دعوة رفيقه .

فيصرخ ستيبانوس أغا (وهو الجالس فى الزاوية) :

ـ أحضروا قهوة طوروس أغا إلى هنا .

يذهب طوروس أغا مرغماً نحو رفيقه وهو مشغول البال .

ـ كيف حالك طوروس أغا . كيف تمضى وقتك ؟

ـ هكذا . .

ـ أتدرى ماذا ُتشبه الحياة التى نعيشها ، انتظر لأروى لك مثلاً صغيراً .

ويبدأ ستيبانوس أغا القصة الطويلة التى كان يقطعها من حين لآخر كى يشد انتباه طوروس أغا ، بينما كان طوروس أغا غارقاً فى أفكاره ، وُيفكر إلى من سيتوجه ليقترض بعض المال ويشترى لأولاده أحذية وقبعات وكتاب اللغة ويدفع قسط المدرسة . يقف طوروس أغا عشر مرات متأهباً للذهاب خلال سرد القصة ، لكن ستيبانوس أغا يمسكه من قبه ولا يسمح له قائلاً : إن القصة مثيرة ونهايتها مذهلة . وأخيراً ، وبعد الحديث لمدة ساعتين يصل ستيبانوس أغا إلى النهاية ، كما يصل بعض النواب إلى الدولة الطوباوية فى خطابهم ، ويختم قصته قائلاً : «ها هى حياتنا تشبه هذا الحيوان» . وعندما ينتهى من القصة يقول :

ـ أيها الصبى ، أحضر الدومينو .

ـ اسمح لى أن أذهب .

ـ لا ، لا ، أرجوك ، لنلعب دق دومينو ، لنأخذ الأحجار مناصفة أم نسحبها ، السحب أفضل .

ـ عندى شغل ، علىّ أن أذهب .

ـ اجلس ، يا رجل ، اسحب العطوسة .

ـ لا وقت لدىّ للجلوس ، أصلاً أنا متأخر .

ـ ولد ، قلت أحضر هذا الدومينو ، ألا تفهم ؟ هل أنت

أصم ؟

ـ عن إذنكم .

ـ لا أسمح لك ، أنا لن أذهب إلى عملى اليوم ، أنت أيضاً لا تذهب ، نمضى الوقت معاً هنا .

ـ لا يا روحى ، اليوم يوم عمل ، لا أستطيع البقاء .

ـ هل تُكسر كلامى ؟

فيقول بعض الموجودين هناك :

ـ يا طوروس أغا ، وأنت أيضاً طوّلتها ، لا داعى للغنج هكذا . عندما يُقال لك اجلس تجلس .

ـ عندى شغل يا أفندى ، شغل .

ـ أحياناً يأخذون بالاعتبار خاطر الرفاق يا أفندى .

يستنفد طوروس أغا وسائله ويضطر للانسياق للرأى العام . يأتون بالدومينو ، فيلعب طوروس أغا بأقصى سرعته ، وستيبانوس أغا يخلق قصة عند كل حركة حجرة ، مرة عن البطريرك السابق وأحياناً عن الدستور ودائماً عن الصحافة الوطنية . وبذلك ينتظر طوروس أغا ساعات ليأتى دوره فى اللعب . تستطيعون التصور بماذا يشعر طوروس أغا ، حتى أنا عند كتابة هذه الأسطر أقفز من على كرسىّ ألف مرة . يأكل طوروس أغا نفسه من غيظه . ويستغرب ستيبانوس أغا من استعجال طوروس أغا . يستغرق الدومينو ساعة ونصف ويخسر ستيبان أغا اللعبة .

ـ آه يا طوروس أغا ، نزل الوحى ، فلنلعب دقاً آخر .

ـ دعنى أقبّل قدميك ، ستيبانوس أغا ، أتوسل إليك ، لا تغضب علىّ ، أنا صاحب أولاد وعيال .

ـ الله رحيم يا زلمة ، الدوشيش عندى ، ها قد وضعتها .

ـ لا أستطيع أن أفهمك ، أقول لك يا أفندى إنه ما عندى وقت .

ـ ضع الشيش بيش لأرى .

ـ الله أكبر ، اغفر لى يا رب .

ـ تقول إنه لا وقت لديك وأنت تُضيِّع الوقت . كنا أنهينا اللعبة حتى الآن ، ضع الشيش بيش .

ـ أنا ذاهب . . سلام .

ـ اذهب يا رجل ، اذهب ، منذ الصباح سأذهب سأذهب ، اذهب يا أخى اذهب .

ـ أعتقد أنه لا داعى للغضب .

ـ أنت تقول أشياءً تُخرج المرء عن صوابه لتفقعه يا أفندى ، نحن لا نُكبّلك بالسلاسل هنا ، هذه اللعبة تُلعب مرتين ، هذه هى العادة ، لو لم ترغب باللعب كان الأجدر ألا تلعب من البداية ، كل شىء له قوانينه وأصوله ، هذا الذى فعلته غير لائق .

ـ طيب يا روحى ، سوف أترك من ينوب عنى .

ـ هذا ليس بمنصب فى البطريركية . .

ويُكرر الجالسون إلى جانبهم :

ـ دق آخر طوروس أغا .

يندم طوروس أغا ألف مرة لدخوله المقهى .

هذه المرة يخسر طوروس أغا ، ويُقدم قدح عرق للرابح كجائزة ويتأهب للذهاب .

ـ ألا تُريد أن تسحب عطسة طوروس أغا ؟

ـ بكل سرور .

ـ سوف تنزل فى (إستنبول) أليس كذلك؟

ـ نعم .

ـ هل ستذهب إلى حارة (يدى كولى) ؟

ـ لا سأذهب إلى السوق .

ـ كنتُ سأطلب منك أن تشترى لى نصف وقية عطسة مستوردة من أوربا ، وسأدفع لك قيمتها لاحقاً .

ـ حسناً . . ولكن . .

ـ لكن هل تعرف من أين ستشتريها ، فى منطقة (غلاطا) هناك دكان لبيع الشموع ، اذهب إلى هناك وقل له إنها من أجل ستيبانوس أغا ، ليعطيك العطوسة الخاصة بى ، انتبه كى لا تُغش .

لا يملك طوروس أغا ولا قرشاً ، ويرغب بتوضيح أن ذلك الأمر لا يُمكن تنفيذه ، ولذلك يقول :

ـ اعذرنى ، اليوم لا أستطيع أن أمر من تلك المنطقة .

ـ يا رجل ، خلال الأربعين سنة طلبنا منك طلباً وأنت لا تُلبيه ، لقد غيرت طبعك ، وقد صرت شيئاً مختلفاً .

ـ أتأسف بأننى . .

ـ على الأقل انزل فى (كوم كابو) وقل لصاحبى أن يشتريها ويُعطيك إياها لتحضرها لى ، لكن ادفع أنت الثمن ، فصاحبى لا يتوفر لديه المال .

يقول أحدهم :

أصبحت الساعة الثامنة طوروس أغا ، الذى اشترى اشترى والذى باع باع ، ماذا ستفعل إذا ذهبت بعد هذا الوقت ؟ تعال لنلعب دق طاولة معك .

وينضم ستيبانوس أغا :

ـ هكذا تكون الأمور أفضل .

يقول طوروس أغا :

ـ لا ، لا ، يجب أن أذهب ، ويدفع بنفسه من المقهى للخروج . .

إلى السوق . . لا ، إلى مكان ينزوى فيه ويشتم قليلاً ، ويا ليت مقر الجريدة كان قريباً . .

مكتبة أريك

حكايات أسرة أرمنية من الشتات إلى المجد

فى سلسلة «إصدارات خاصة » بالهيئة العامة لقصور الثقافة ، صدر أحدث كتاب للأستاذ الدكتور نبيل حنفى محمود وعنوانه «حكايات أسرة أرمنية من الشتات إلى المجد» . والمؤلف يشغل وظيفة أستاذ هندسة القوى الميكانيكية بجامعة المنوفية ، وله اهتمامات أدبية وتاريخية وفنية ، وصاحب إسهامات فيها . ويستعرض الكتاب بروز أسرة «أبو الفرج بن نقولا الأرمنى» فى الإدارة المملوكية (١٢٥٠ ـ ١٥١٧) التى وصل أبناؤها إلى مناصب عليا من قبيل الوزارة ونظارة الجيش والوالى والأستادار وغيرها . وتجدر الإشارة إلى أن المؤلف قد غاص فى غيابات أمهات الكتب المختصة بزمن سلاطين المماليك ، ونجح ببراعة فى إعادة تركيب المشهد التاريخى بمنهج علمى وبأسلوب بسيط وبتناول سلس . ولاريب أن عصر المماليك ـ حسب تقديم د . محمد رفعت الإمام للكتاب ـ يُعد من العصور الكلاسيكية فى التاريخ المصرى العام ؛ ففيه تبلّورت شخصية مصر الإسلامية بكونها «دولة مؤسسات» داخلياً وأقامت علاقات دبلوماسية خارجياً . والأبرز ، تركت مصر المملوكية إرثاً حضارياً ومعمارياً وثقافياً مازال يُمثل «درة تاج فى جبين الحضارة العربية الإسلامية» .

المصرى أفندى رمزاً للاحتجاج

د . سحر حسن

تطرح هذه المقالة عديداً من التساؤلات، لعل على رأسها : من هو المصرى أفندى ؟ وكيف ظهر ؟ ومن هو مبتكر هذه الشخصية أو بالأصح مقتبسها ؟ ولماذا ظهر على صفحات روزاليوسف فى هذا التوقيت ؟ و ما الدور الذى لعبه ؟و كيف كانت رؤيته للحركات الاحتجاجية ؟ وبمعنى آخر : كيف عبّر المصرى أفندى عن ثقافة الاحتجاج لدى المجتمع المصرى ؟

فى البداية وقبل محاولة الإجابة على هذه التساؤلات لابد لنا أن نُعرِّف ماهية فن الكاريكاتور . فنجد أن هذا الفن يُعد لوناً ساخراً من فنون الرسم ، وهو صورة تُبالغ فى إظهار تحريف الملامح الطبيعية أو خصائص ومميزات شخص أو جسم ما بهدف السخرية أو النقدين الاجتماعى والسياسى . كما أن له قدرة على السخرية أو النقد بما يفوق المقالات والتقارير الصحفية ؛ إذ أن الصورة الكاريكاتورية تُمثل رسالة من الفنان إلى المتلقى من خلال سياق مشترك قائم على بنية الواقع الذى يعيشانه معاً . وهذا ما جسّده صاروخان فى شخصية المصرى أفندى .

ومن هذا التعريف يتبين أن الكاريكاتور له أنواع متعددة منها الاجتماعى والسياسى والرياضى ، لكن ما يخصنا هنا هو الكاريكاتور السياسى ، وهو الأكثر شيوعاً وانتشاراً ، ومهمته تحريضية بحتة لنقد الواقع السياسى .

أما عن شخصية المصرى أفندى فهى شخصية كاريكاتورية ظهرت لرجل قصير القامة بطربوش ونظارة سميكة وفى يده مسبحة ، وقدمها لنا ألكسندر صاروخان ، ذلك الفنان الأرمنى الأصل الذى ولد بالقرب من باطوم على البحر الأسود عام ١٨٩٨ ، وانتقل للدولة العثمانية مع أسرته فى عام ١٩٠٩ . وفى عام ١٩٢٢سافر إلى ڤيينا والتحق بمعهد الفنون الجرافيكية ، وبعد أن أنهى دراسته الأكاديمية قدم إلى مصر فى عام ١٩٢٤ وظل بها ولم يتركها حتى وافته المنية فى مطلع عام ١٩٧٧ . ومنذ أن قدم لمصر ، عمل فى ميدان الصحافة حيث التقى بمحمد التابعى رئيس تحرير مجلة «روزاليوسف» فى عام ١٩٢٨ ، وطلب منه العمل معه فى المجلة فوافق ، وكان صاروخان وقتذاك لا يرسم الكاريكاتور السياسى ، ولا يعرف من اللغة العربية إلا القليل . وعندما سأله التابعى لماذا لا ترسم الكاريكاتور السياسى ؟ قال له صاروخان كيف ؟ وهنا لم تكن الإجابة من التابعى فقط ، بل شاركته فيها

السيدة فاطمة اليوسف ، وقالا سنُريكَ كيف ، وأخذا يُعلّماه ، كما أحضرا له صور الساسة المصريين ، وكانا يقترحان عليه الفكرة المراد رسمها ؛ ثم يقوم هو بالتنفيذ، وهذا ما حدث مع شخصية المصرى أفندى .

كانت السيدة فاطمة اليوسف هى صاحبة الفكرة ، وقد أوحت بها لصاروخان ، حيث كانت مجلة «الكشكول» ـ المنافس الوحيد حينذاك لمجلة «روزاليوسف» ـ ترسم شخصية «جحا» وتُحركها فى صورها السياسية ، فأرادت فاطمة اليوسف وكذا التابعى أن يكون لمجلتهما شخصية خاصة بها تنطق فى الكاريكاتور برأى الجريدة (سياسة الوفد وقتذاك) . فبحثوا فى الصحف الأجنبية ووجدوا مجموعة من الشخصيات الكاريكاتورية مثل ماريان الفرنسية وجون بول الإنجليزية والعم سام الأمريكية .

كانت هناك أيضاً شخصية الموظف المرتشى التى ابتكرها هنرى دوميه الإيطالى لتكون أداة لشن الحملات الانتقادية السياسية على الفساد . فوجدوا من بين كل هذه الشخصيات شخصية منشورة فى «الديلى إكسبرس» للفنان «ستروب» يلبس قبعة ويحمل فى يده مظلة ، فاقتبسوها بعد أن ألبسوه الطربوش ، كما ألبسوه نظارة سميكة ، ووضعوا فى يده المسبحة والطلقوا عليها «المصرى أفندى» . وهكذا كانت شخصية المصرى أفندى فكرة روزاليوسف والتابعى وتنفيذ صاروخان ـ الذى كان متأثراً بشخصية هنرى دوميه .

وقد لعبت هذه الشخصية الكاريكاتورية الشهيرة دوراً هائلاً فى السياسة المصرية على مدى سنين طويلة ، ودخلت فى مواجهات ومعارك وصدامات مع الزعماء ورجال السياسة ، انتهت فى كثير منها إلى النيابات والمحاكم والسجون . فالصورة المبتكرة تُمثل إحدى صور الاحتجاج على الواقعين السياسى والاقتصادى فى مهاجمة سياسة الاحتلال ، فرغم اختلاف وطن وجنسية صاروخان ، فإنه كان يُمثل صرخة ضد الظلم وعصا تُرفع فى وجه كل من يُوالى سياسة الاحتلال .

وكان أول ظهور لشخصية المصرى أفندى على صفحات روزاليوسف ، وبالتحديد على غلاف عدد رقم (٢١٢ فى ٧ مارس ١٩٣٢) . وقد مثلت شخصية المصرى أفندى فلسفة الناس فى الشارع ، وقد اتسمت بالوعى العميق حيث عبّرت عن العقل الجمعى المصرى ، فقد جسد كل عاطفة مصرية ، وعلى لسانه خرجت الحكم والنكات والسخرية اللاذعة والانتقادات المتباينة ، لذا ، عُد رمزاً خالداً للمصرى المعروف بطيبة القلب . وكان المصرى أفندى من علامات روزاليوسف البارزة ، وقد ظلت هذه الشخصية قائمة حتى عام ١٩٥٨ إلى أن حل محلها شخصية العربى أفندى .

فى تقديرى أن ظهور شخصية المصرى أفندى فى هذا التوقيت كان نوعاً من المد الوطنى ، وربما يُعد هذا نتاجاً بعيداً لثورة ١٩١٩ ، حيث كانت شخصية المصرى أفندى تجسيداً للهوية المصرية كاريكاتورياً، وقد عبّر الفنان من خلالها عن معاناة المواطن المصرى وكفاحه ضد الاحتلال الإنجليزى واستبداد القصر ولامبالاة الأحزاب ، لذا فهناك العديد والعديد من الرسوم التى قدمها لنا صاروخان ، لكنى سأكتفى بعرض بعض نماذج منها ، والتى مثّل المصرى أفندى فيها «الشعب المصرى» بأكمله وما يُعانيه من ظلم وفساد واحتلال . . . الخ .



فثمة رسم يحتج فيه على صدور القوانين الجديدة التى تفرض قيوداً على الشعب المصرى . وقد صوّر رئيس الوزراء وهو يُحاول أن يخنق المصرى أفندى ، وفيما يبدو من الرسم والتعليق عليه أن صدور هذه القوانين كانت

تُمثل ضغطاً شديداً على الشعب المصرى يصل إلى حد الموت هذا من جانب . ومن جانب آخر كان صدور هذه القوانين لحماية الوزارة «السلطة» دون النظر إلى مصلحة الشعب ، حتى لو كانت تلك القوانين ستُؤدى إلى موت الشعب ، وهذا يبدو من تعليق المصرى أفندى : ما باليد حيلة . . مستعد اتخنق علشان خاطرك ، بس عايز أعرف يعنى مافيش طريقة تحمى بها نفسك إلا خنقى .



وفى الرسم يُصور الفنان صدور القوانين الاستثنائية على هيئة غول يلتهم المصرى أفندى «الشعب المصرى» وهو يستغيث بالفتاة التى ترمز إلى العدالة ، فترفض العدالة لأنها لا تجتمع مع الظلم . ويتضح هذا من التعليق الذى تلى الرسم عندما تقول العدالة : أن الحته دى ماتسعنيش وتساع الغول ده . . . يا أنا يا هو اختار اللى يعجبك . وكأن الفنان يُريد أن يُحرِّض الشعب المصرى على الثورة ضد صدور تلك القوانين والمطالبة بالعدل .



كما قدّم لنا رسماً آخر ليُبين كثرة المشاكل والمظالم التى تُحيط بكل شئ فى البلاد ، وعلى سبيل المثال لا الحصر مشاكل القضاء والطلبة وإلغاء دستور ١٩٣٠ والأزهر ، وكيف أن رئيس الوزراء لا يهتم بها ويُعطيها ظهره ومنشغل بشئ آخر . فنجد المصرى أفندى يسخر من هذه السياسة التى يتبعها رئيس الوزراء بقوله : ياواش ياواش يا جماعة . . دولته بيشتغل ليل نهار علشانكم . . . خلوه يعمل فى هدوء . وكأن الفنان يُريد أن يُؤكد على انفصال السلطة عن الشعب .



وهناك رسم آخر للاحتجاج على سياسة الوزارة والوزراء تجاه الشعب والاحتلال ، فنجد چون بول واقفاً وفى يده ميزان فى احدى كفتيه إسماعيل صدقى وفى الأخرى عبدالفتاح باشا يحيى وهو يقول للمصرى أفندى أنه يرى أن صدقى أكثر وزناً من عبد الفتاح ، لكن المصرى أفندى يرى أن لا فرق بين كليهما لكونهما يُمارسان سياسة ضد مصلحة الشعب ، وأن الأمور ليست بالثقل . لذا يُبين الرسم مدى الاحتجاج على سياستهما ، ويرى أنهما لا يصلحان للوزارة .



خلال يومىّ ٧ و ١٠ مايو ٢٠١٢ ، تقابل السيد أشود كوتشاريان سفير جمهورية أرمينية فى لبنان مع كل من الرئيس اللبنانى ميشيل سليمان ووزير الخارجية وشئون الهجرة اللبنانى عدنان منصور . وخلال اللقائين استعرض السفير الأرمنى معهما علاقات الصداقة الثنائية والمسائل المتصلة بها . كما تم التنويه إلى مستوى العلاقات السياسية العالى ، وكذلك ضرورة الاستمرار فى تبادل زيارات الوفود على مستوى عال ، وتنظيم اللقاءات بين رجال الأعمال ، والتعاون فى المنظمات الدولية وضرورة المساندة المتبادلة . وأثناء المقابلتين ، استعرض السفير كوتشاريان تفاصيل الاحتفالات التى تمت فى أبريل الماضى بمناسبة مرور «٥٠٠» سنة على طباعة أول كتاب باللغة الأرمنية ، وكذلك اختيار يريڤان عاصمة للكتاب خلال عام ٢٠١٢ . وأشاد السفير باشتراك الوفود التى ترأسها كل من وزير الثقافة اللبنانى ومحافظ بيروت فى الاحتفالات التى أقيمت بهذه المناسبة مما سوف يُسهم فى تعميق العلاقات الثقافية والتعاون المثمر بين مدينتىّ يريڤان وبيروت . كما استعرض كوتشاريان آخر التطورات فى مسار تسوية النزاع حول ناجورنو قره باغ .

* * *

وفى يوم ١٥ مايو ٢٠١٢ ، تقابل السيد كيغام غريبچانيان سفير جمهورية أرمينية فى دولة الإمارات العربية المتحدة مع نائب رئيس دولة الإمارات العربية ورئيس الوزراء وحاكم دبى الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم . وإبان اللقاء ، أبلغ السفير الأرمنى تحيات وتمنيات رئيس جمهورية أرمينية سيرچ سركيسيان لسمو الشيخ . هذا ، وقد بحث الجانبان تطوير العلاقات التجارية والاقتصادية بين الجانبين الأرمنى والإماراتى . وقد تمنى سمو الشيخ النجاح للسفير ، وأكد على أهمية تعميق التعاون مع أرمينية فى المستقبل .

* * *

وفى ٢٩ مايو ٢٠١٢ ، ألتقى د. أرمين ميلكونيان سفير جمهورية أرمينية بمصر مع د. نبيل العربى أمين عام جامعة الدول العربية . وخلال المقابلة ، استعرضا آفاق مستقبل التعاون بين أرمينية وجامعة الدول العربية ، وسُبل تطوير العلاقات بين أرمينية والجامعة . وتطرق الطرفان إلى بحث الموضوعات الإقليمية التى تهمهما . واستعرض ميلكونيان آخر التطورات فى مسار الحل السلمى لنزاع ناجورنو قره باغ . هذا ، وقد أشاد د. العربى بالإسهام الكبير الذى يُقدمه الأرمن فى الحياة الاجتماعية بالدول العربية المختلفة .

* * *

وفى يوم ٣١ مايو ٢٠١٢ ، استقبل محافظ مدينة الكويت عاصمة دولة الكويت الشيخ على جابر الصباح السفير الأرمنى هناك السيد فادىّ تشرتشوغليان . وأثناء اللقاء ، بحث الطرفان دعم التعاون بين عاصمتىّ الدولتين . وعرض السفير إنشاء العلاقات مع محافظة يريڤان مؤكداً على أن تقنين هذه العلاقات والزيارات المتبادلة بين المدينتين سيكون لها أثر فعال فى تقريب المسافة بين العاصمتين . وقال سمو الشيخ أنه تم إرسال دعوة إلى محافظ يريڤان لزيارة الكويت مما سيضع التعاون المتبادل فى المستقبل بين محافظتىّ يريڤان والكويت على أسس جديدة . وفى نهاية اللقاء ، أثنى محافظ الكويت على الطائفة الأرمنية بالكويت مقدراً إخلاصها واستعدادها لمقاسمة المصير المشترك مع الكويتيين .